

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوي

علم	٤٠٠
في وادي النيل	٤٠٠
الطبعة وادي النيل	٣٠٠
للعلماء والمدرسين بالزاري	٥٠٠
فهاج الوادعت	٣٠٠
للطبعة فهاج الزاري	٤٠٠
للعلماء والمدرسين فهاج الزاري	٤٠٠

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعية
تصدر عن شيخ الأزهر في أول كل شهر عربي

مدير المجلة
عبد الرحمن عيسى

العنوان
دار الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

الجزء السادس - القاهرة : جمادى الآخرة سنة ١٣٧٨ - ديسمبر (كانون الأول) سنة ١٩٥٨ - المجلد الثلاثون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من إلهامات الأسد العالى :

العروبة تكبح جماح النيل

عشنا مع الترك العثمانيين ردحاً من الزمن ، كانوا يسمون فيه هذا الجزء العزيز من الوطن العربى : « الإيالة المصرية » ، وكانت الإيالة المصرية فى عهدهم مباءة الفقر والفوضى والحرمان ، ومرحاً للأدب الناعس ، والعلم المتجبر ، والسكدح العقيم .

ثم عشنا مع ربيهم محمد على وسلالة الضلالة ردحاً آخر من الزمن ، كانوا يسمون فيه هذا الجزء المغبون من الوطن العربى : « القطر المصرى » ، وكان القطر المصرى فى ظلال حكمهم حقلاً لهم وللتأمرين معهم من الأغيار والانتهازين ، يعمرونه على قدر حاجتهم إلى استغلاله فى شهواتهم ومآربهم ، ويوجهون أهله نحو الانسلاخ عن عروبتهم وسجايها ، وعن سلامهم وأخلاقه وحيويته ، بما يلقون إلى أبنائهم من فتات العلم الاستعمارى ، وبما زينون لهم من مظاهر الحضارة الماسجة وأكاذيبها .

ثم بعث الله فىنا هذا الرجل الموهوب من بنى قرة فى أرض الصعيد الطيب ، فهتف بصر : إنك عربية ، لا شرقية ، ولا غربية . وهتف بالعروبة : إنك من معدن كريم للحق

والخير ؛ وقد كانت ثورة سلفك الأول لجة النور في عصور الظلمات ، وبدعوتهم المباركة أشرقت الأرض بنور ربها ، وما كان لذلك النور أن يضعف إلا بأن تنامي ، وقد نصبت الشعوبية حبال تل سحرها من كل نوع لتنامي ، فتمت عن رسالتك ألف سنة أو تزيد ، وأن لك اليوم أن تستيقظ ليبعث الله فيك حيويته الممتازة ، وإشراقك المتألق ، ولتستأنف القيام برسالتك العظمى كعهد التاريخ بها أول مرة ، فتتحول « الإيالة المصرية » ، ويتحول « القطر المصري » ، ويتحول كل وطن للعروبة والإسلام . إلى يذبوع من فيض الحق والخير تتحطم من حوله حواجز الأوهام التي أقامها الشعوبيون وأعداء العروبة - في مئات السنين الماضية - ولا يزالون يقيمونها عبثاً بين مصر وسائر الناطقين بالاضداد . وسيعترفون بفشلهم الذريع كلما رأوا صورة هذا الرجل الموهوب من بني قرة تبتسم لإخوانه العرب والمسلمين في كل مكان ، وكلما سمعوا صوته الجهوري يجلجل على موجات الأثير في جميع آفاق الأرض بالثورة على الباطل والشر ؛ وهذه مصر تحتل بدعوته قلوب العرب والمسلمين جميعاً . مما لاعداء للتاريخ بمثله ، ومما لم تكن دول الأرض تتوقع حدوثه - إلى ما قبل سبع سنوات - ولا في المنام . .

إن العروبة التي هتف بها هذا الجندي العربي الموهوب ، قد تحول بها ما كنا نسميه « القطر المصري » إلى يذبوع متدفق من قوة القلوب العربية في آسيا وإفريقية ، يوشك أن يجعل من هذه القومية العربية العظيمة دولة عربية عظيمة . تخفق قلوب أبنائها جميعاً بالقوة والعزة والرحمة والخير من أدنى الأرض إلى أقصاها ، وتنبض ذرات أرضها بالثروة والبركة والرزق الحلال الطيب لكل من يبذل في سبيله عملاً صالحاً طيباً ، وتفيض آلاء الله في أرجائها بكل ما تدره هذه الآلاء الإلهية من أسباب النعيم المقيم .

أكتب هذه الكلمة بعد حلم عميق سرحت فيه متفكيراً ظلال السد العالي ، وظلال ما يمكن أن يقوم - في سيج مائه المدخر - من جنان وأفنان ، وبنيان وعمران ، في عشرات السنين الآتية ، وقد لا يمتد في العمر حتى أرى ذلك بنفسى ، فمن الله على بتصوره في أحلامي كما لو كنت من شهود كماله وجماله ، مقارناً بينه وبين مصر الأمس يوم كانت تسمى « الإيالة المصرية » ، ومصر التي كانت بعدها أيام كانت تسمى « القطر المصري » .

هذه مصر الغد مجلوة أمام عيني كالعروس بكل محاسنها ، إنها تتمطي بصلبها عن يمين وشمال : إن رمالها التي كانت تنبسط في شرقها إلى بحر القلزم يوشك أن تتحول إلى مدائر

وثغور، وإلى طرق بينها معبدة تمتد فيها شرايين المواصلات بمصنوعات المصانع من كل نوع في الأرض، وتقوم على سيف بحرها ثغور المصايف والمتاحف، ومدن السياحة والسباحة، ومرافئ المصايد وموانئ التصدير، تغشاها أساطيل السفن التجارية خفافا عياها، وتبحر منها بحر الحقائق إلى سواحل باكستان والهند وأندونيسيا والصين وسائر الثغور الآسيوية شرقا، وإلى سواحل الصومال وأرتيريا والحبشة وسائر الثغور الإفريقية غربا. أما رمال مصر التي كانت تنبسط في أعماق غربها إلى المحاريق والواحات وباريس المصرية، وإلى البوادي والفرافرة وعين دلة، وإلى وادي النطرون فالضبعة ومرسى مطروح، ثم إلى منخفض القطارة وسيوة، إن هذه الرمال التي تملج كالبحار وراء شطآن النيل والشريط الأخضر من منطقة نشاط مصلحة الري شرقا وغربا، يوشك إذا قام السد العالي وأدى مهمته في الرزق والصرف أن تدب الحياة في تلك الرمال إما بتوزيع المياه عليها بالعدل والقسطاس في نظام الري الجديد بعد السد العالي. أو باستنباط المياه الجوفية بالطرق الحديثة على ما يرجي اتباعه في آفاق العريش، وحينئذ تزدان هذه القفار بما يشمخ فيها من المباني والمصانع. وتعم أرجاءها الخضرة والحيوية والبهجة والخصب، وتترنح بنسيمها العليل عذبات الأغصان في الغابات الكثيفة والحدائق الغناء في كل مكان.

كل ذلك يرجي أن يكون يوم تنتهي العروبة من كبج جماح النيل، وتطويعه لمصلحة القومية العربية ونماها وعظمتها وسماحتها.

إن في إقامة السد العالي. والتسكين من ادخار الجامح من مياه النيل الضائعة. معنيين من المعاني الإسلامية: أحدهما الشكر العملي لله عز وجل على هذه النعمة. نعمة النيل. ومن شكر الله سبحانه على أية نعمة القيام بحفظها، وحسن استعمالها. في كل ما يدنى الإنسانية من أهداف الخير وأسباب القوة والسعادة. والمعنى الإسلامي الثاني في إقامة السد العالي التوبة إلى الله من التمريط السابق في هذه الثروة، ووضع حد لما كان من التبذير والإسراف في ترك هذه النعمة تذهب إلى البحر المالح سدى، مع إمكان الضن بها، وحفظها لاستعمالها فيما يزيد هذا الوطن الإسلامي قوة وثروة ونعمة ورزقا. وقد سبق لي التحدث إلى قراء هذه المجلة في افتتاحية جزء صفر سنة ١٣٧٣ عن القوى الضائعة في مصر، وأولها هذا النيل الأعظم. هبة الله الكبرى لهذا الوادي، وقلت يومئذ: إن من نظام الإسلام الاعتدال والاقتصاد وتجنب السرف والتبذير في كل ما ينتفع به. وبما عليه الإسلام للسليدين أن المتوضى إذا كان

يتوضاً من النيل الأعظم ينبغي له ألا يسرف في الماء ، لاخوفاً على ماء النيل أن ينقص ، بل خوفاً على المسلم أن يتعود التبذير والسرف ؛ وأن يكون بالتبذير من إخوان الشياطين . ومن العجيب أن يكون هذا تعليم الإسلام للناسلين ثم نكون جميعاً مسرفين على أنفسنا في كل شيء ، ونضيع مالهو حفظناه وأحسننا القيام عليه لسكنا من أقوى الأمم . بل أقوى الأمم .

إذا وفقنا الله إلى إقامة السد العالي ، وبدأنا نحني ثمرات هذا العمل العظيم في عشرات السنين الآتية ، فإن ذلك سيكون حداً فاصلاً بين مصر الصغيرة ومصر الكبرى . بين مصر التي كان تعداد سكانها في عهد محمد علي مليونين ، ثم صارت في الحرب العالمية الأولى أربعة عشر مليوناً ، ثم بلغت في الحرب العالمية الثانية عشرين مليوناً ؛ وبين مصر التي تستطيع في نظام الري بالسد العالي أن تعول أربعين مليوناً إلى خمسين مليوناً . هذا في الإقليم الجنوبي من بلاد الجمهورية العربية المتحدة ، فكيف بنا إذا سلكننا هذه الطريق في إقامة السدود واستنباط المياه وتنظيم الري وتوسيع التصنيع في الإقليم الشمالي ، ولا سيما في مستقبله القريب عندما يتم للعروبة فقه الدم الحبيث الذي أحدثه الاستعمار الأجنبي في ناحية عزيزة مقدسة من جسم الوطن العربي العظيم والسكان الإسلامي الأكبر

نحن على أبواب تطور ننتقل به - إن شاء الله - من كيان ضعيف مشتت ، إلى كيان عظيم متين تحترمه الدنيا وتهابه . وليس الذي أتحدث عنه وهماً ولا خيالاً ولا من كواذب الأمانى ، ولكنها البوادر تلوح من وراء سحيف الغيب ، بقدر ما يراها المؤمن ببصيرته حتى كأنه يلسها ، أو كأنها تمشي مقبلة وهو يسمع وقع أقدامها . . .

هذا الحد الفاصل بين كياننا الصغير الذي مضى ، وكياننا العظيم الذي يوشك أن يكون ، يهتف بنا بأمور أخرى بعد الهتاف الذي سمعته مصر وسمعته العروبة من صوت رجلاً الموهوب جمال عباء الناصر منذ نحو سبع سنوات إلى الآن .

إن الهتاف الذي يهتف بنا من وراء سحيف الغيب لمناسبة هذا التطور الذي نتوقع به الانتقال من الكيان الصغير كيان « القطر المصري » إلى الكيان الكبير « كيان القومية العربية » ، ينبغي لنا أن نصغى إليه بنفوس مؤمنة ، وقلوب طاهرة ؛ لأن الهتاف هاتف غيب ، والإصغاء إليه ضرب من ضروب العبادة ، وطهارة القلوب من أول شروطها .

الأخلاق التي كنا عليها يوم كنا سكان « القطر المصري » لا تصلح لأن نبقى متخلفين بها يوم يتم الله علينا نعمته ببناء السد العالي . إن كياننا بعد انتهاء السد العالي سيكون أضخم وأعظم من أن نحمله بأخلاق سكان القطر المصري .

إن إخلاص هذا الرجل الموهوب الذي يقودنا في حركة الانتقال من الكيان الصغير إلى الكيان الكبير ، يرتب علينا واجبا له ولنا أن نكون مخلصين للبعان العالية والتوفيقات الإلهية أكثر مما كنا عليه ونحن في كياننا الصغير الماضي .

أرأيت لو كنت ساكنا شقة متواضعة في حي متواضع ، ثم كبر أولادك وصارت لهم مناصب رفيعة أو ثروة تجارية أو صناعية كتب الله لهم فيها التوفيق والنجاح ، هل تبقى وأولادك في شقتك المتواضعة ، من ذلك الحى ، أم تنتقلون إلى منزل أوسع في صقع أكرم ؟ وهل تنتقلون إلى المنزل الجديد بالأثاث الرث الذي كان لكم في الشقة البالية ، أم تجدون أثاث منزلكم الجديد بما يليق بكم وبه في حياتكم الجديدة الكريمة ؟ .

لما سافر الشيخ محمد عبده إلى الجزائر سنة ١٣٢١ وألقى فيها تفسيره لسورة العصر ، قال للذين حضروا ليودعوه : إني ذاهب إلى الجزائر لأجد نفسي . والذي يذهب إلى الحج وينخلع من ثياب الحضارة الكاذبة ويهتف بكلمة « لبيك اللهم لبيك » يعاهد بذلك ربه على التوبة مما سلف من كل عمل غير صالح ، ويحدد حسابه مع الله بحياة جديدة تليق بمن كتب على نفسه التوبة من كل ما سلف منه في حياته السابقة . وهذا النوع من تجديد النفس يستشعر به صاحبه الراحة من أعباء معنوية كانت تثقل كاهله فيلقاها وراء ظهره ، ويبدأ بسيرة جديدة نظيفة تليق بحياته الجديدة النظيفة .

هذا المعنى في تجديد النفس ، وبدء حياة جديدة عند الانتقال من طور في الأمة عني عليه لقدم إلى طور آخر لها يختلف عن الطور السابق ، هو الذي كان يشعر به أصحاب رسول الله عند ما يدخلون في دين الله ، وهذا التجديد العملي في الحياة كان يؤهلهم ليكونوا عظماء في كيانهم الجديد بما لم يكن يخطر على بالهم لما كانوا في كيانهم القديم . لقد كانوا عند الانتقال من كيانهم الأدنى إلى كيانهم الأعلى يشعرون بما يترتب عليهم من أعباء جديدة للحياة الجديدة فيوطنون النفس عليها ويؤدون لها ما يشعرون به من ضريبة التضحية ، فيكافئهم الله عليها بعشرات أضعافها من ارتفاع مستواهم ، وارتفاع أخلاقهم وفضائلهم وسجاياهم ، إلى أن

يكونوا من عظماء الدنيا . مثال ذلك قبيلة مزينة التي كان منها زهير بن أبي سلمى وابناه بجير وكعب ، وحفيداه عتبة والعوام ، ومن نوابغهم معن بن أوس ، ثم كان منهم أذكي أذكيا الدنيا القاضي إياس بن معاوية . هذه القبيلة كانت منازلها في جنوب المدينة على جانبي الطريق إلى مكة . فلما أراد الله لهم الخير عقب الهجرة المحمدية فوعوا مراعى الإسلام ، كان أول ما يترتب على دخولهم فيه أن يساهموا في حمل أعبائه بأموالهم وأنفسهم . إلا أن السماء كانت في ذلك العام ضئيلة على منازل مزينة بالغيث والخصب . فتمد رجال منهم على رسول الله يبتذلون له أنفسهم ، ويعتدرون عن البذل من أموالهم ، لأنهم لا أموال لهم يومئذ يتصدقون من فضلها . إلا رجلا منهم هو النعمان بن مقرن المزني فإنه وحده كان يرى أن الجود لا يكفي أن يكون من الموجود ، بل يجب أن يكون بكل الموجود . فلما أراد هو وستة من إخوته أن يقدموا أنفسهم لله ورسوله خجلوا من الله ورسوله أن يأتوا المدينة بأيدي فارغة ، فجمع النعمان ما كان حول خبائه وأخيه إخوته من غنيمات ، وساقها بين يدي رهط من قومه جاءوا المدينة ، ولقي بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزل فيه قول الله عز وجل من سورة التوبة : « ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ، ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ، ألا إنها قربة لهم ، سيدخلهم الله في رحمته . إن الله غفور رحيم » . إن هذه الغنيمات لا تسكاد تنفع الدعوة الإسلامية بشيء ، فغير أنها كل ما كان يملك النعمان ابن مقرن وإخوته الستة ، فلما اتخذوها قربات عند الله وصلوات الرسول كان ذلك دليلا على أنهم تقربوا قبلها بقلوبهم وجميع مواهبهم لله ، فكان ذلك في تاريخ الدعوة الإسلامية شيئا عظيما . قال عبد الله بن مسعود : « إن للإيمان بيوتا وللنفاق بيوتا ، وإن بيت بني مقرن من بيوت الإيمان » . وفي يوم الخندق وهو من أيام الشدة في الإسلام ناط النبي بكل عشرة من الصحابة حفر أربعين ذراعا من الخندق ، وكان النعمان بن مقرن يحفر مع تسعة آخرين في البقعة التي ظهرت فيها صخرة بيضاء استعصت عليهم . فأنجدهم النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه الكريمة وأهوى على الصخرة فأزالها ، فكان للنعمان وصحبه شرف مشاركة الرسول لهم في أربعينهم . وفي فتح مكة كان النعمان صاحب راية مزينة ، وفي بداية فتنة الردة لما خرج الصديق بنفسه لقتال المرتدين حتى انهزموا واتبعهم أبو بكر إلى ذي القصة كان النعمان بن مقرن على ميمنة جيشه ، وأخوه عبد الله بن مقرن على ميرة ذلك الجيش ، وأخوهما الثالث سويد ابن مقرن على الساقة ومعه الركاب . ثم خلف أبو بكر النعمان بن مقرن في ذي القصة وعاد إلى

المدينة . ولما استأنف أبو بكر القتال مع المرتدين في ذي حى وذى القعدة كان بنو مقرن الثلاثة على مكاتبتهم من جيشه حتى نزل هذا الجيش على أهل الربذة بالأبرق . فكانت موافق هؤلاء الإخوة المزيين كلها موافق صدق وعزم وإيمان . ولما فتحت جبهة الجهاد في إيران في خلافة الفاروق انتقل النعمان بن مقرن بقومه من مريئة عن منازلهم الأولى في جنوب المدينة إلى الجانب الشرقى من مدينة الكوفة ليقوموا بالدفاع الحربى عن البلاد التى دخلت في الإسلام ، ولينشروا الدعوة الإسلامية بالطريقة التى يبتها فى كتابى . مع الرعيل الأول . وليعربوا البلاد التى توطنوها أو التى سيصلون إليها . ومن ذلك المنزل فى شرق الكوفة زحف النعمان بن المقرن لقتال يزيد جرد ، وكان من أبطال حرب القادسية . ثم كانت له القيادة العليا فى معارك نهاوند سنة ١٩ . ولما نزل ليخوض هذه المعركة العظمى ، وكانوا يسمونها (فتح الفتوح) . أمر بأن يضرب فسطاطه فتسابق أربعة عشر قائدا من أشرف القادة المجاهدين . وأكثرهم من الصحابة كحنيفة بن اليمان فبنوا للنعمان فسطاطه بأيديهم . فلم ير الناس بناء فسطاط أشرف من هؤلاء . وفى هذه الملحمة الرهيبة نال الشهادة العظمى . وأخذ أخوه نعيم ابن مقرن الراية قبل أن تقع وذهب بها إلى حذيفة بن اليمان فقام فى مقام الشهيد الأعظم إلى أن نالوا النصر النهائى ، وذهب السائب بن الأقرع بالأخماس إلى أمير المؤمنين عمر فى المدينة ، فلما علم منه عمر بشهادة صاحب تلك الغنيمات - النعمان بن مقرن المزنى - المنتصر على دولة من أقوى وأعظم دول العالم يومئذ بكى عمر ونشج وجعل يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون .

كل دعوة صالحة تحتاج إلى مؤمنين بها مخلصين لله فى أعمالهم . وهذه الثورة قامت فى وجه الاستعمار كله . وهى الله لها أسباب نجاحها بإخلاص داعيتها وقائدها ، وهذا الإخلاص يجب أن يتجاوب مع إخلاص مثله من كل أفراد الأمة ، وإن من لوازم هذا الإخلاص التجرد من الأخلاق الصغيرة التى كانت لنا فى كياننا الصغير ، والانتقال إلى أخلاق أخرى كبيرة تليق بما نستقبله من كيان كبير . فالكيان الكبير بلا أخلاق لا يتم ، وإن لا يدوم . والأخلاق العالية ثمن الكيان العالى ، لا يتم ولا يدوم إلا بها .

إن ثورة العروبة التى تسبح الآن جراح النيل ، وتمنعه الإباق والضياح فى البحر المساخ . يجب أن تسبح كذلك جراح القوى الإنسانية والأخلاق الفردية فتجعل ذلك كله فى مصلحة القومية العربية ونماؤها ورخائها وعظمتها وسعادتها . هذه أبواب العمل ستفتتح على مصارعها

لكل من يعمل عملاً صالحاً فينال ثمن عمله على مقدار عمله . ودواليب العمل إذا دارت فإن من مصلحة كل من يتصل بها أن يوجه عمله في اتجاهاتها .

كلنا دواليب وآلات ومسامير في الكيان العملي . فيجب أن يكون لكل فرد منا عمل إيجابي في هذا الكيان ، لتكون القوى كلها مسيرة له وقائمة بنصيبها في حركته وسيره واتجاهه ، ثم يكون كل واحد منا في المستوى الذي يؤهله له عمله ، وإحسانه في هذا العمل .

الدواليب دائرة ، وستدور ، ثم تدور . وحركتها ستكون أنظم وأعظم إذا كانت قطع الغيار والمسامير محكمة في أماكنها ، مؤدية عملها . والإنسان المنحرف بأخلاقه ، واتجاهاته ، وسريرة قلبه ، لا يصلح أن يكون في قافلة الأمة ، ولا أن يكون قطعة غيار في كيانها . لأن انحرافه بأوضاعه وأخلاقه سيجعله طعمة للدواليب الماضية في اتجاهها ، فيذهب غير مأسوف عليه . والإنسان المستقيم بأخلاقه ، واتجاهاته ، وسريرة قلبه أشبه بقطعة الغيار المحكمة في موضعها من الكيان الأعظم ، فإن القائمين على الآلة يسهرون على تغذيته بالتزيت والتشحيم ، ويتمهدونه بالنظافة والإصلاح والتثبيت ، ويجددون حياته ما احتاجت حياته وحياة الآلة به إلى هذا التجديد .

إن المصنع الذي يخرج لكيان العروبة قطع الغيار من أبنائها هو المدرسة ، والمدرسة لا تزال متلكئة في إخراج قطع الغيار الصالحة لكيان العروبة المنتظر ، لأن الأعوان على هذه المهمة من المعلمين ورجال وزارة التربية والتعليم لا يزال أكثرهم بعقلية « القطر المصري » في حياة ما قبل الثورة ، وكثير منهم متأثر بمنهج وضعت لغير زماننا ولعكس ما صرنا إليه : ومن مصلحة هؤلاء في ذات أنفسهم ، ومن مصلحة كيان العروبة في وضعه الجديد وأهدافه العظمى بعد السد العالي ، أن يعين هؤلاء على أنفسهم ، وأن يعدلوا وضعهم مع العروبة في اتجاهاتها وتخرج المؤمنين بها . وكما آمنت مريضة بالرسالة الأولى ، وأعد هؤلاء الأعراب من أبنائها قلوبهم وعزائمهم وقواهم للقيام بأعبائها فبلغوا بذلك أعلى مناصب الدنيا ، حتى انتصروا على دولة من أقوى دول الأرض يومئذ ، فليكن لكل رجل منا أسوة حسنة هؤلاء المجاهدين الأبرار في إخلاصهم وصدقهم ، لتجاوب القلوب كلها في استبائ كيان العروبة الأكبر على ما يليق بنا وبه في عشرات السنين الآتية ، وكل آت قريب .

محـب الدين الخطيب

نفحات القرآن

— ٦٥ —

المشالية الأدبية في توجيهات القرآن ، لمن كان ذا سمع وفطنة

« ا » وذروا ظاهر الإثم وباطنه .
« ب » إن الذين يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون .

دعوة القرآن تتجه بالناس دائماً إلى الصعود نحو المشارف ، ليكونوا في مقامهم من الإنسانية التي ينجيها ربها ، ويتعهد بها بالتربية ويضفي عليها الكرامة التي ليست لسواها في الأرض .

وأنت ترى القرآن ينهانا عن ظاهر الإثم وباطنه ، وهو بهذا الكلام الموجز يبعدنا بعداً شاسعاً عن كل نقيصة : من ظاهر الإثم الذي يبدر من الإنسان على مشهد أو مسمع من الغير . ومن باطن الإثم الذي يكون في خلوة وخفاء ، عن الناس .

والظاهر والباطن من الإثم كما يتناول أعمال الجوارح يتناول أعمال القلب : مما يتصل بالعقيدة ، ويبدو في المظهر والسلوك : كتصديق الباطل ، والارتياح إلى الشكوك ، وإلى الزهادة في دعوة الدين ، والجنوح إلى المشاقة لله ورسوله ، بأي لون من ألوان المروق والتحلل .

بل الظاهر والباطن من الإثم لا يتمفان عند الجانب الديني البحت ، بل يتناولان آداب السلوك العام ، والمساس بأي حق من حقوق المجتمع ، والخروج على النظام الذي تكفلت به القوانين الوضعية الصحيحة .

وكل ما قامت عليه المصلحة الجدية يعتبر داخلاً في إطار الدعوة الدينية ، وإن لم تصرح به النصوص الدينية في الكتاب أو في السنة . فالنصوص لم تأت بتفصيل كل شيء ، بل جاءت في أكثر منهجها كنماذج ، يقاس عليها ما تكشف عنه الحاجة ، وترشد إليه التجربة ، ويراه

ولاية الأمور خيراً للناس في حياتهم ، وأما على حقوقهم ، وصيانة للنظام العام من عبث العابثين .

فحينئذ يكون هدى الدين كاشفاً عن المنفذ الذي يصل منه المشرعون إلى الهدف ، ويكون الدين متمشياً مع اتجاه الحياة في خطاها المتتابعة « ما فرطنا في الكتاب من شيء » ، يعني : تفصيلاً وإجمالاً .

وليس معنى هذا أن يتعرض الدين صريحاً للبخترعات ، وأدوات المصنع ، وإنتاج المعامل !! كما يشتهي بعض المتطالعين من أهل الجدل والشقشقة . والفضول .

لا : بل تقصد أن كل ما تهتدى إليه العقول ويكون صالحاً للحياة ومفيداً للناس وليس معارضاً لوجهة الدين ، ولا ناقضاً لمبدأ معروف فيه ، فهو أمر سائغ ، ومأذون فيه ضمناً إن لم يكن هو تطبيقاً مباشراً لنصوص الدين .

وهذا استطراد يرتبط بظاهر الإثم وباطنه ، وهو واضح ، بعد أن توسعنا في مفهوم الإثم ، وتناولنا به كل ما يجلب على الناس ضرراً .

ويبدو من هذا أن عبارة الكتاب العزيز مع إيجازها في اللفظ غاية الإيجاز وسعت كل ما يعتبر فساداً ، وكل ما ينافي الحياء ، وكل ما تعافه الفطرة .

وليس في هذا التعميم تعسف ، بل هو قريب التناول إذا استأنسنا بقول النبي صلى الله عليه وسلم « والإثم ما حاك في صدرك منه شيء » .

فهذا خطاب اصحابي مسلم ، بل هو خطاب لكل مسلم ، والمنروض أن المسلم قوى المشاعر الدينية ، ومرهف الإحساس ، وصادق الإدراك ، شديد الحياء . فهو بفطنته وفطرته قد يدرك المعابة ، ويحس بالمأخذ ، ويتردد في الأمر الذي لا يتسع له صدره بعد أن شرح الله صدره للإسلام ، وملاءة نوراً ، وخشية ، لا غروراً . ولا وباء ، ولا رياء « والذين اهتموا زادهم هدى ، وآتاهم تقواهم » .

وإذ كان النهي عن ظاهر الإثم وباطنه شاملاً لكل ما يجافي الصواب : ديناً ، ودنياً ، فعقوبة المخالفة تكون خطيرة ، وتسكون في قوتها مؤازرة وموازية لقوة النهي الشامل .

وهذا هو قوله تعالى « إن الذين يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون » وقد اجتمع في هذا التهديد ما اجتمع من أساليب التأكيـد لسوء الجزاء بسبب اقتراف المخالفين لما يقترفونه من ظاهر الإثم أو باطنه .

ثم تأتي آيات بعد هذا النهي فيها تعريـج على بعض أنواع الإثم الذي يقترفه الناس . وكانوا يقترفونه قديما .

منها قوله تعالى « فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين » . وهذا أمر يأذن بأكل الذبائح التي يذكر اسم الله عليها عند ذبحها ، وفيه رد على كفار كانوا يتركون التسمية على الذبيحة ، بل كانوا يتركون الأكل مما ذكر عليه اسم الله : عناداً منهم ، وتشبهاً بالمخالفة .

وفي هذا الأمر امتنان على الناس بما أباح الله لهم من لحوم يجب أن يشكروه بذكر اسمه عليها حين ذبحها إن كانوا مؤمنين حقاً بآياته ، وذلك حكم قائم ، وللـفقهـاء تفصيل فيه بين العامد والناسي لذكر التسمية ، والأرجح عندهم أنها لا تسقط عمداً ، ولا تحل الذبيحة إذا تركت عليها التسمية عن قصد .

وتليها آية أخرى في هذا الصدد : « وما يظن عدم رسله »

« ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه » فهذا نهى صريح عن أكل الذبيحة التي تركت عليها التسمية ، وهو رد كذلك على من كانوا يستبيحون هذا ، ويأكلون ما ذكر عليه اسم الصنم أو أي اسم غير اسم الله المستحق وحده للشكر على ما خلق ، وعلى إباحته للأكل من تلك الذبائح المسموح بأكلها .

وقد سمي الله تعالى أكل ما لم تذكر عليه التسمية - فسقا - « وإنه لفسق » والفسق هو المعصية الكبيرة ، وقد يراد منه الكفر الصراح .

والتعرض للأكل وعدم الأكل هنا من باب التمثيل للإثم المنهي عن فعله . وهو يتناول أكثر من هذا ، غير أن أكثر ما يقع الإثم فيما يؤكل حراماً ، فاختير ذكر الأكل لشيوعه وغلبته على سواه .

ثم تنتقل بنا الآيات إلى توجيه كريم نحو ظاهرة اجتماعية ، هي : أن العصاة في الجماعات والبلاد هم غالباً أكابرها .

وهذه سنة كونية صرح بها القرآن في قوله تعالى « وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرمين ، ليذكروا فيها » . يراد فيما نفهم : أن أهل اليسار ، وأصحاب النفوذ ، وذوى المظاهر ، ونحوهم - وهم الأكابر في كل قرية أو جماعة - هم - غالباً - الذين يخالفون ما أمر الله به إلى ما نهى الله عنه ، والمعروف أن أصحاب النعم كثيراً ما يغترون بها فتفسد قلوبهم ، وينال الغرور من نفوسهم ، ويستحوذ الشيطان عليهم فيلتوون عن الشكر الواجب ، إلى المتاع المحظور ، ويرون في تبجحهم تعالياً عن مستوى الضعفاء ، والفقراء ، وتمنعا عن سماع النصيح والخوف من التهديد والوعيد ، وأنهم أكبر من أن يخضعوا ، ويدلوا لأحد ، ولو كان ربهم - سبحانه - ونحن نشهد اطراد هذا الانحراف إلى وقتنا ، وفي كل وسط من الأوساط بسبب ما لديهم من أسباب الزهو ، والمفاخرة ، بل ربما قلدهم ، وتابعهم على ذلك من ليس لديه شيء من هذا : حبا في التظاهر ، واستخفافا بالمعصية .

وكذلك كانت قريش في ماضيها : ما بين متبوع مستكبر ، وتابع مستضعف ، وفي القرآن قصص مبسطة عن هؤلاء وما كانوا يعملونه ، وإخبار بما سيكون منهم يوم القيامة من ندم ، وتنصل من التبعة ، وإلقاء كل من الفريقين جريمته على الآخر ، حتى يلتقي بهم جميعاً في النار ، ويقف بين الفريقين هذا الجدل ، ثم يقرون جميعاً بقولهم - إنا كل فيها - النار - إن الله قد حكم بين العباد .

وإن حديث القرآن عن الأكابر المجرمين في كل قرية أو كل بيئة واضح في التنديد عليهم والتذكير لهم ليعتبر منهم من يعتبر ، وليتنبه كل من كان مفترقا بنعمة إلى الإصلاح من شأن نفسه ، وعلاج حالته بما يفيد من توجيه القرآن نحو المثالية الأدبية الخاتمة .

فهل لأدبائنا المعاصرين ، وكتابتنا المجددين أن تكون لهم عظة ، وأن يترشوا في غرورهم ويقصدوا في باطلهم وتضليلهم ؟ وعلوا أنهم يمكرون بأنفسهم ولا يشعرون ؟

عبد اللطيف السبكي

اللهم وفقنا ووفق اجتمع

عضو جماعة كبار العلماء

ومدير التفيتش بالأزهر

السيرة

عمل المرء لنفسه

أبقى الأصحاب وأكرمهم - أشدهم خذلانا لصاحبه ! -
دنيا الصحابة - أحق الناس بخلافة الأرض - حرص
واجب - وجه يبشر بالخير - أكمل الهدى في تشييع الميت .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يتبع الميت ثلاثة ، فيرجع اثنان ويبقى معه واحد : يتبعه أهله وماله وعمله ، فيرجع أهله وماله ويبقى عمله .
رواه الشيخان ، واللفظ للبخاري (٥)

من حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على أمته ، ومن آثار رأفته بهم ورحمته ، أنه لا يألوهم نصحاً ، ولا يدخر عنهم وسعاً ، في كل ما يسوق لهم نفعاً : أو يدفع عنهم ضرراً ، أو يبق لهم ذخراً ، في هذه الحياة الدنيا وفي الحياة الأخرى . . .

وفي هذا الحديث الموجز الجامع ، يهيب بأمرته صلوات الله وسلامه عليه ، ويدعو كل فرد منها أبلغ دعوة وأجمعها ، أن يصطنى أنيسه في وحشته ، وجليسه في وحدته ، وطائره في عنقه ، يوم يقال له : « اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً » .

لقد حذرنا صلوات الله عليه وسلامه الجليس السوء ، ورغبنا في الجليس الصالح ، وأخبرنا أن المرء على دين خليله ؛ لينظر كل من يخالل ، وايس أحد منهم بالمقيم معنا

(*) ولا يختلف عن لفظ مسلم إلا في زيادة « معه » ، وماضى المضارعين : تبع - كعلم - أو اتبع ، بتشديد التاء . رواه البخاري في « باب سكرات الموت » ، من كتاب الرقاق ؛ ورواه مسلم في أول كتاب الزهد .

أو الباقي في دار الفناء . لا جرم أن دعوته صلى الله عليه وسلم ، إلى اختيار صاحب الباقي في دار البقاء أجل وألزم ، وهل للبرء صاحب أبقى له وأدوم ، وآنس وأكرم ، من العمل الصالح الذي ليس له فيه من نعمة تجزى ، إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ؟ إن هذا العمل الخالص المصطفى . رائده في حياته ، وبشيره بعد مماته . ونوره الذي يمتلئ به في الدنيا ، ويسعى به في الآخرة .

ولا يكون العمل خالصا مصطفى ممتنحي به وجهه الله عز وجل ، إلا إذا كان تابعا للعلم المأثور ، مصاحبا للإيمان الخالص ، بريئا من النفاق والغش . فأما العمل الصادر عن جهالة أو هوى أو عن رياء وسمعة فلا خير في صحبته ، ولا وزن له عند من يضع الموازين القسط ليوم القيامة . ويعلم السر وأخفى ، ومن هو أغنى الشركاء عن الشرك ؛ بل إن هذا العمل نكال لصاحبه ووبال عليه ، وأشدّ الأسباب خذلانا له !!

وأضل من هذا العمل ضلالا ، وأبعد منه وبالا ونكالا ، عمل من يفرقون بين الله ورسله ولا يؤمنون حق الإيمان بخاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليهم وبكل ما جاء به . ومحال أن يجزى الله في اليوم الآخر من لا يؤمن باليوم الآخر ، ومن كذب بما أرسل به رسله ، وبما أنزل به كتبه « إلا حميا وغساقا . جزاء وفاقا » فأما ما قدموه من خبر في دنياهم فقد عجل لهم جزاءه فيها ، وأما أخراهم فلا مة قال لأحد بعد قوله سبحانه : « وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا » .

وربما ظن قريب النظر أن هذا الحديث يدعو إلى ترك الدنيا وعدم السعى فيها ، وإلى الزهد في الطيبات وعدم التمتع بها ، وإلى الاشتغال بالعبادة والعكوف عليها ، وربما أيد ظنه هذا بأن الحديث مروي في أبواب الزهد والرقائق . . ولكن ذلك نظر قاصر يحصر الحديث في أضيق حدوده ، ويحافظ هدى الرسول وصحابته ، فقد كان صلوات الله وسلامه عليه ينهى عن الرهبانية في الإسلام ، ويأكل الطيبات ويحبب الدعوة إليها ، ويدعو إلى الشكر عليها ، ويقول فيما رواه الإمام أحمد نعم المال الصالح للرجل الصالح ، وكان أصحابه بعد أن فتح الله عليهم يملكون هذه الدنيا ولا يصدون عنها ؛ بل كان منهم في عهد النبوة الأغنياء الأثرياء ، والتجار الأوفياء ، الذين قال الله فيهم « رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام

انصلا وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ، بيد أنهم كانوا يملكون الدنيا ولا تملكهم ، ويهونها لله ولا تحزنهم ، ويتوسلون بها إلى الله ولا تفتنهم ، وأولئك سادة الزهاد ، وهداة العباد ، إلى عمارة الدنيا الصالحة . والتجارة الراجعة ، والملك الرشيد .

على أن من أعظم العبادات ، وأجل القربات ، تسخير هذه الدنيا واتخاذها وسيلة ، إلى الخير والبر ، وذخيرة من صالح الأعمال . وفي هذا التسخير على الوجه الذي يرضاه الله سبحانه ، شكر للشاكرين ، وتعليم للجاحدين ، بأن أحق الناس بخلافة الأرض وعمارتها والتمكين منها ، هم العاملون الصالحون . .

وإذا كان عمل العباد يصحبه ويبتغي معه حتى يلقي ربه عز وجل ، يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ، على حين يفارقه أهله وماله ، أشد ما يكون محتاجا إليهم فما أجدره إذا أن يحرص على صاحبه الذي لا يغني عنه أهل ولا مال . حرصه على نفسه التي لا يجد منها بديلا ولا عوضا . .

ومن هنا يتبين أن الحديث لا يألو جهدا في الدعوة إلى العمل النقي الخالص ، الذي يتمثل لصاحبه في القبر رجلا حسن الوجه ، حسن الثياب ، طيب الريح ، فيقول : أبشر بالذي يسرك ، هذا يومك الذي كنت توعده ، فيقول له : من أنت ؟ فوجهك الوجه الذي يأتي بالخير فيقول : أنا عمك الصالح . . في حديث طويل رواه الإمام أحمد . . فلينظر المرء وهو في سعة من أمره ، كيف يعد جلوسه في روضته إن شاء أو في حفرة ؟ !

واتباع الأهل والمال للبوق أمر أغلبي ، فرب ميت لا مال له ولا أهل ، وقد يكون له أهل ولا يمكنون من اتباعه وتأدية حقه . . والاتباع هنا يشمل الحسى منه والمعنوى والمراد أن كلا من هؤلاء الثلاثة يتعلق بالميت على وجوه شتى ، ثم ينفض عنه المال والأهل ويلزمه العمل . .

ويشير الحديث إلى حق من حقوق الميت ، وهو تشييعه وتوديعه . .

والسنة لمن تبع الجنازة إن كان راكباً أن يكون وراء المشيعين جميعاً ، وإن كان ماشياً أن يكون قريباً منها . خلفها أو أمامها أو عن يمينها أو عن شمالها ، وأكمل الهدى وأفضله أن يشيع أخاه إلى قبره ماشياً أمامه ؛ لأنه بمنزلة الشفيع له . . . وتلك سنة النبي صلى الله عليه وسلم وسنة خلفائه الراشدين من بعده . . .

أما بعد ، فهذا حديث في عمل المرم لنفسه وتقديمه لحياته قبل رmse ، يتصل به حديث آخر في عمل المرم لغيره ، رغبة في نفعه وبره . وموعداً الجزء القادم بمشيئة الله تعالى وتوفيقه ؟

طه محمد الساكات

الصحابة كلهم من أهل الجنة

قال شيخ الإسلام علم الأعلام الحافظ ابن حجر العسقلاني في مقدمة كتابه (الإصابة) : اتفق أهل السنة على أن جميع الصحابة عدول ، ولم يخالف في ذلك إلا شذوذ من المبتدعة .

ثم قال : والأحاديث الواردة في تفضيل الصحابة كثيرة ، من أدلها على المقصود ما رواه الترمذى ، وابن حبان في صحيحه ، من حديث عبد الله بن مغفل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الله الله في أصحابي ، لا تتخذوهم غرضاً . فمن أحبهم فبحبي أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم . ومن آذاهم فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله . فيوشك أن يأخذه » .

ثم قال : وقال أبو محمد بن حزم : الصحابة كلهم من أهل الجنة قطعاً ، قال الله تعالى : « لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ، أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا ، وكلا وعد الله الحسنى » . وقال تعالى : « إن الذين سبقتم منكم من أهل الجنة ، أولئك عنها مبعدون » . فثبت أن الجميع من أهل الجنة ، وأنه لا يدخل أحد منهم النار ؛ لأنهم مخاطبون بالآية السابعة .

التوريث في الإسلام ميراث المرأة

إن من الحق والإنصاف أن نقرر أن التشريع الإسلامي في كل ناحية من نواحيه ينبوع الحكمة ومصدر العدالة والحيظ على الأواصر الاجتماعية ورفوفات الأسر والشعوب .

ومن تشريعات الإسلام الحكيمة ، تشريع التوريث الذي يفي على نظام دقيق في ترتيب طبقات الراثين ، وتقدير نصيب كل وارث ، وحجب بعضهم حجب حرمان ، وبعضهم حجب نقصان بسبب لكل منهما ، ورعاية القوة والضعف في القرابة ورعاية جانب المصاهرة بتوريث الزوجة وتقدير نصيبها الملائم لوجود أولاد معها وعدم وجودهم ، وكذلك الزوج ، إلى غير ذلك مما سنذكر بعض أمثلة منه فيما يأتي ، وكل هذا يدل على أن تشريع التوريث في الإسلام من ينابيع الحكمة ، وقد شرعه الله بنظام يكفل ربط الأسرة برباط وثيق ، ويجعل كل فرد من أفرادها راضياً بعدالة القسمة بينه وبين سائر الأفراد مقتنعاً بأن التوريث الإسلامي قد أعطى كل ذي حق حقه .

ومن عدالة التوريث في الإسلام نظامه الحكيم في توريث المرأة ، فلم يحرمها كما كان يحرمها العرب ، وغيرهم من كثير من الأمم ، ولم يعطها فرق ما ينبغي لها ويتلاءم وحاماتها فعل القانون الروماني الحديث والقانون الفرنسي ، وكما يطالب بذلك بعض أنصاف المتعلمين الذين يطلبون لها المساواة بالرجل في الميراث ، ومع ذلك يدعون الإسلام والإسلام بريء منهم ، وكأن هذا في نظرهم بعض الحقوق السياسية التي طالبت المرأة بمساواة الرجل فيها ، إذ لم يوجد كما لن يوجد على ظهر الأرض مسلم يماري في أن الله قد بين بياناً شاملاً واضحاً بالنص الذي لا يشمل التأويل نصيب المرأة والرجل في الميراث ، المذكور مثل حظ الأنثيين ، وأن هذا الحكم معلوم من الدين بالضرورة ، فكل من يطالب بمساواة المرأة بالرجل في الميراث خارج عن الإسلام كافر بإجماع المسلمين ، لا يشذ عن ذلك مسلم فضلاً عن إمام مجتهد ، وليبان عدالة التشريع الإسلامي في توريث المرأة نذكر ما عليه التوريث عند غير المسلمين من العرب وغيرهم .

كان الميراث عند الأمم الشرقية القديمة منظوراً فيه إلى إقامة دعائم الأسرة فحسب بعد موت رئيسها ، ولهذا اشترطوا فيمن يخلف الميت في أسرته ألا يكون من النساء والأطفال ، فيخلف الميت ابنه البكر إن كان بالغاً ، فإن لم يوجد فأرشد الذكور من الأولاد ، فإن لم يوجد فأرشد الإخوة ، ثم الأرشد من أبنائهم ، ثم الأعمام هكذا ، ثم الأصهار ، ثم الأرشد من العشيرة ، ويكون له بعد رئيس الأسرة مطلق التصرف في شئونها ، وكانت الوصية عندهم نادرة ولا تصح إلا عند عدم وجود ذكر رشيد في الأسرة ، وإنما كان اهتمامهم بالأسرة لأنهم كانوا أهل حل وترحال ، فدعاهم ذلك إلى التشدد فيمن يخلف الميت في أسرته ليسكون لسكل أسرة رئيس مطلق التصرف فيها .

وعند قدماء اليونان والرومان الإرث مبنى على الوصية ولكل شخص الحق في اختيار الوصى الذى يخلفه ولو كان أجنبياً وللوصى حق التصرف في مال الأسرة وفي أفرادها كيف شاء ، فله أن يزوج من أراد ويمنع من الزواج من أراد ، ولأب أن يؤثر في وصيته بعض أبنائه على بعض ولكن ليس له أن يحرم بعضهم من الميراث بالكلية ، وإذا لم يكن للميت وصية لبعض الأبناء تساوى جميع الأبناء في الميراث ، وإذا لم يكن للرجل أبناء كان له أن يوصى بماله لمن يشاء فإن مات بلا وصية كان الميراث لإخوته ثم أبنائهم ثم الأعمام هكذا ثم الأخوال .

وليس عندهم للبرأه حق في الميراث ، ولا خلاف بين قدماء اليونان والرومان إلا في أن الوصية عند قدماء الرومان لا تصح إلا إذا وافقت عليها القبيلة ، فإن لم توافق عليها عينت من يصلح لذلك ، أما قدماء اليونان فيرون رفع الأمر للحاكم وتصح الوصية بعد صدور الحكم بصحتها ، ولكل شخص حق الطعن في هذا الحكم إذا ظهر أن بالوصية ضرراً بمصلحة الأسرة أو الوطن ، كذلك كان عند قدماء الرومان أن حقوق الوصية تنقل إلى الوصى من حين الوصية ، ولا يكون لرب الأسرة الحق في معارضته في تصرفاته ، ولا تنقل حقوق الوصية للوصى عند قدماء اليونان إلا بعد موت الموصى .

واستمر هذا إلى أن تغير القانون الرومانى قبيل الإسلام ، فجعل سبب الإرث القرابة فيحصر الميراث في فروع الميت فيرثه أولاده ذكورا وإناثا بالتساوى ، ثم أصوله ويشاركون الإخوة الأشقاء ، ويتسم الميراث بينهم نصفين ، ويتساوى الذكور والإناث في الأنصبة ، ثم

الإخوة لأب ثم الإخوة لأم ثم الأقرب فالأقرب لليت بالتساوي بين الذكر والأنثى، وليس للزوجة حق في ميراث زوجها لانحصار سبب الإرث في القرابة .

وقد أخذ القانون الفرنسي عن القانون الروماني نظام الموارث في الجملة ويرجع نظام التوريث في القانون الفرنسي إلى ما يأتي :

الورثة على ثلاث درجات : فالأولى : الأولاد من النكاح الصحيح والأقارب ويطلق على هذه الدرجة الورثة الشرعيون ، والثانية : الأولاد من النكاح الفاسد والزنا (الأولاد غير الشرعيين) والثالثة : الزوج والزوجة ، ولا يرث أحد من الدرجة الثانية إلا عند فقد جميع أفراد الدرجة الأولى كذلك لا يرث أحد من الدرجة الثالثة إلا عند فقد جميع الدرجتين الأولى والثانية ، أما الأصول فالأب والأم لا يرثان إلا عند فقد الفروع ، وأما الأصول غير الأب والأم فلا يرثون إلا عند فقد الفروع والحواشي .

ولا ترث الزوجة ولا يرث الزوج والأولاد غير الشرعيين إلا بعد رفع الأمر إلى القضاء وصدور الحكم بتوريثهم .

وعند اليهود يرث الميت واده الذكر فإن تعدد الذكور من الأولاد كان للبكر نصيب اثنين منهم .

وليس للبنات نصيب في الميراث إذا وجد معها الابن أو ابن الابن ، ولكن لها النفقة والتربية حتى تبلغ من الثانية عشرة ، فإن لم يكن للبيت ابن ولا ابن ابن ورثت البنات ثم أولادها وإذا لم يكن له حفدة فميراثه لأولاد حفدته الذكور ثم الإناث وهكذا ... ، وإذا لم يكن له أولاد ولا حفدة ولا فروع من الحفدة ورثه أبوه ثم أصول أبيه وإذا لم يكن له أصول من أبيه ورثه الأقارب من الحواشي الأقرب فالأقرب إلى الدرجة الخامسة مع تساوي أنصبة جميع الوارثين ما عدا الابن البكر كما قدمنا فإنه يأخذ نصيب اثنين عند تعدد الأولاد الذكور .

ولا ترث الزوجة شيئاً من زوجها ، ويجب على الأخ إذا توفي أخوه وليس له ابن أن يتزوج امرأته وولده البكر منها يحمل اسم أخيه ويرثه .

وعند العرب في الجاهلية الميراث حق للرجال الذين يركبون الخيل ويقتلون الأعداء وليس للضعيف من النساء والأطفال حق في الميراث ولا فرق في النساء بين البنات والأمهات

والأخوات والزوجات وغيرهن فكلهن محرومات من الميراث ، بل لقد كان للأخ أن يرث مع مال أخيه زوجته إن أراد ، فيرث الميت ابنه الأكبر إن كان بالغاً فإن لم يوجد له ابن كذلك فأخوه ثم ابن عمه ، ويبقى ذلك إلى بناء عهد الإسلام حتى بعد الهجرة ثم أنزل الله تشريع الميراث فأبطل ما كان عليه الجاهلية .

عن ابن عباس قال كان أهل الجاهلية لا يرثون البنات ولا الذكور الصغار فمات رجل من الأنصار يقال له أوس بن ثابت وترك ابنتين وابناً صغيراً فجاء أبنا عمه خالد وعرفطة ومهما عصمتة فأخذوا ميراثه كله فأتت امرأته رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك فقام ما أدرى ما أقول فنزلت «الرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ، للنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون» .

وعن عكرمة قال : نزلت في أم حكيم وابنتها حكيم ، وثعلبة وأوس ابنا سويد وهم من الأنصار كان أمهما زوجها والآخر عم ولدهما ، فقالت يا رسول الله توفي زوجي وتركني وابنة فلم نورث فقال عم ولدهما يا رسول الله لا تتركب فرساً ولا تحمل كلاً ولا تنكح عدواً نكسب عليها ولا تسكسب ، فنزلت الآية .

ثم نزلت الآيات المبينة نصيب كل وارث فتنه روى أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وغيرهم (عن جابر بن عبد الله قال جاءت امرأة سعد بن الربيع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله هاتان ابنتا سعد بن الربيع قتلا أبوهما معك في أحد شهيدا ، وإن عمهما أخذ ما لهما فلم يدع لهما مالا ، ولا تتركجان إلا ولهما مال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بتضى الله في ذلك فنزلت آية الميراث (يوصيكم الله في أولادكم) الآية فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عمهما فقال أعط ابنتي سعد الثلثين وأمهما الثمن وما بقي فهو لك) .

قال العلماء بهذه أول تركة قسمت في الإسلام ، أي على نظام التوريث الإسلامي .

وقد ظهر مما تقدم أن قدماء اليونان والرومان يعتمدون في التوريث ، على الوصية وأن لكل شخص الحق في اختيار الوصي ولو كان أجنبياً ، كما ظهر أن أكثر الأمم حتى الذين يقولون بالتوريث بدون الوصية وبينون الميراث على القرابة يحرمون الإناث من الميراث

وأن البعض الذي يورثهن بحرم الزوجات من الميراثات في أزواجهن ، وعلى الجملة ظهر أن العدالة في الميراث كانت مفقودة حتى في التشريعات المبدئية .

فجاء الإسلام وحال المرأة في الميراث بين إفراط في حرمانها من الميراث بالسكينة وتفریط بالمساواة بينها وبين الرجل فأبطل كل ذلك معلناً نصه الصريح وللرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون والنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيباً مفروضاً ، وبين بياناً مفصلاً وأبياً الأنصبة لجميع الورثة بقوله « يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين » الآيات فكانت تقسيمه عادلاً قضى على طرفي الإفراط والتفریط . وأذن كل من نظر إلى هذا التقسيم مجرداً عن العاطفة والغاية لايسعه إلا الإقرار بعدالة والاعتناع بعمله نصيب المرأة على النصف من نصيب الرجل ؛ فإن ذلك أمر تدفع إليه شئون الحياة ونظمها القاضية بأن يكون الرجل رب الأسرة والقائم بشؤونها وتحصيل جميع مطالبها ، في معاشها وتربية جميع أفرادها لايفرق بين ذكورهم وإناثهم ، وهو أيضاً القائم بشئون الزوجية والمطالب بتقديم كل ما تحتاج إليه الزوجة في الصحة والمرض في المنزلي والموسري ، على الموسر قدره وعلى المقتر قدره ، وعلى الجملة فالرجل هو المالك بأن يكده ويكسده ليؤدي لكل واحد من أفراد الأسرة حتى الزوجة ما يحتاج إليه وليست زوجته مطالبة حتى بالإتفاق على نفسها ، فهل من العدل والإنصاف أن نتساوى المرأة مع الرجل في الميراث بعد كل ذلك ، لاشك أن هذه المساواة إفراط ومجاوزة للحد في مقابلة التفریط الذي كان عند كثير من الأمم بحرمان المرأة من الميراث بالسكينة .

أجل إن تشريع التوريث في الإسلام قضى على ظلم الظالمين الذين حرروها من الميراث ولم يعطوها منه شيئاً ، وقدر لها نصيباً عادلاً يتلأم مع حاطها بالنسبة للرجل ولا يتجاوز ما تقتضيه شئون الحياة فلم يطغ على حق الرجل كالم يفتن عما تستحق المرأة شيئاً ذلك تقدير الحكيم العليم .

وإلى القارىء بعض أمثلة للمقارنة بين التوريث في الإسلام والتوريث عند غير المسلمين حتى يتبين الرشيد من الغي .

١ - مات رجل وترك زوجة - وابناً صغيراً - ربتاً - وأماً - وأخاً .

فالحكم عند العرب في الجاهلية وعند الأمم الشرقية القديمة الميراث كله للأخ وليس للإناث ولا للابن الصغير شيء . وعند قدماء اليونان والرومان يعمل بالوصية إن وجدت مع ملاحظة عدم حرمان الوصية للابن بالكلية ، وعند عدم الوصية الميراث كله للابن وليس للإناث شيء كما ليس للأخ شيء .

وعند اليهود الميراث كله للابن وليس للبنت ولا للأم شيء كما ليس للزوجة شيء وكذا الأخ ليس له شيء وعلى القانون الفرنسى الميراث كله للابن والبنت بالسوية وليس للأم شيء كما ليس للزوجة ولا للأخ شيء . وعلى التوريت الإسلامى للزوجة الثمن وللأم السدس والباقي للابن والبنت للذكر مثل حظ الأنثيين وليس للأخ شيء لوجود الابن .

٢ — رجل مات وترك بنتاً — وابن ابن — وزوجة — وأباً .

الحكم عند اليهود والعرب في الجاهلية الميراث كله لابن الابن ولا شيء للبنت ولا للزوجة والأب وعند قدماء اليونان والرومان يعمل بالوصية وعند عدم الوصية التركة لابن الابن . وعلى القانون الفرنسى التركة كلها للبنت ولا شيء لابن الابن والأب ولا للزوجة .

وعلى التشريع الإسلامى للزوجة الثمن وللبنات النصف ولأب السدس والباقي لابن الابن .

٣ — مات رجل وترك زوجة — وبنتاً — وأختاً شقيقة — وعماً .

الحكم عند العرب في الجاهلية التركة كلها للعم ولا شيء للإناث .

وعند قدماء اليونان والرومان إن كانت وصية اتبعت وإن لم توجد وصية فالتركة للعم .

وعند اليهود وعلى القانون الفرنسى التركة كلها للبنت .

وعلى التشريع الإسلامى للزوجة الثمن وللبنات النصف وللأخت الباقي ولا شيء للعم .

ألا ترى معى العدل والنور يلوحان من خلال التقسيم الإسلامى في هذه الأمثلة لعمري إن تشريع الميراث في الإسلام لمن أكبر الأدلة على صدق محمد بن عبد الله وصحة رسالته ؛ إذ جاء إلى الناس بهذا التشريع فلا الكون نوراً وهدى وأعطى كل ذى حق حقه والناس حينئذ ما يزالون في غياهب الجهل بالمواريث حتى ذو العلم والعرفان بالقانون ، جاء محمد بهذا التشريع على هذا النظام الدقيق ، وهو الذى نشأ وعاش ولازم هؤلاء العرب في جاهلية جهلاء تحرم الإناث ومن لم يبلغ مبلغ الرجال من الذكور من أن ينال شيئاً من الميراث ، فكان هذا

التشريع العجيب الدقيق الحكيم على لسان النبي الأمي الذي نشأ هذه النشأة دليلاً على أنه رسول رب العالمين إلى الناس أجمعين .

وقد بدأ الله عز وجل الآيات التي بين فيها أنصبة الوارثين بقوله « يوصيكم الله في أولادكم » وختمها بقوله : « وصية من الله والله عليم حليم » للإشارة إلى أن هذا التشريع يحبه الله ويريد منكم أن تسارعوا إلى تنفيذه والعمل به كما يحرص الموصى ويريد أن يسارع الوصي إلى تنفيذ وصيته وصرح الحكيم العليم أثناء بيان الموارث بأننا عاجزون عن السر الحقيقي الذي عليه يكون تقدير أنصبة الورثة ، ولكن الله العليم بخفيات الأمور هو الذي قدرها وفرض عليكم الأخذ بها إذ يقول : « آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا فريضة من الله إن الله كان عليماً حكيماً » .

عالج الله ما كان عليه أهل الجاهلية من حرمان الإناث وصغار الذكور بما تقدم وبما أشار إليه ذلك النص « للذكر مثل حظ الأنثيين » حيث جعل نصيب الأنثى هو الأصل وحمل عليه نصيب الذكر فكمأن نصيب الأنثى مقرر مفروغ منه ، وأن للذكر ضعفه وإلا لقال للأنثى نصف حظ الذكر ، وذلك كله كما قلنا علاج لحالة الجاهلية المستولية على قلوبهم المتأصلة فيها ، الدافعة إلى حرمان إناثهم وختم آيات الميراث بعد ذلك بقوله : « تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ، ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين » . لعل الناس يتنبهون ويحذرون فيسارعوا إلى امتثال الأمر وتنفيذ الوصية ليفوزوا بالنعيم المقيم وينجوا من العذاب الأليم .

هذه العناية الفائقة من العليم الحكيم بهذا التشريع العظيم ليجتز من القلوب مبدأ الجاهلية . ولكن مع الأسف الشديد لا يزال كثير من الناس مطموسى القلوب بمبدأ الجاهلية ، ولا يزال كثير منهم ينشد ما أنشدوا :

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا بنوهن أبناء الرجال الأبعاد

فتغلب عليهم عاطفتهم فيحتالون لحرمان الإناث من الميراث بعد أن قرر الله حقهن فيه وقدره ، فيعطون أبناءهم في حياتهم ما يشاءون من أموالهم ، إما بالهبة وإما بالبيع الصوري ،

زاعمين أن لهم في حياتهم حق التصرف المطلق في ملكهم والله يعلم أنهم لكاذبون ، فإن الله إنما جعل لكل مالك حق التصرف فيما يملك في حدود الدين ، وتحت سلطان الشريعة الإسلامية ، والدين لا يقر هذا التصرف ولا يبيحه ، وإلا لكان هازلاً ، أو كان كمن أعطى باليمين وسلب باليسار ، ولبيان أن الله لا يحل هذا التصرف ، نورد ما ورد من السنة النبوية فيه .

روى البخاري (عن عامر قال سمعت النعمان بن بشير رضي الله عنهما وهو على المنبر يقول أخطاني أبي عطية فقالت حمرة بنت ربيعة لا أرضي حتى تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال إني أعطيت أبي حمرة بنت ربيعة عطية ، فأمرتني أن أشهدك يا رسول الله . قال أعطيت سائر ولدك مثل هذا ؟ قال : لا ، قال فأتقوا الله واعملوا بين أولادكم ، قال فرجع فرد عطية) .

وروى مسلم (عن النعمان بن بشير أن أمه بنت ربيعة سألت أباها بعض الموهبة من ماله لابنها فالتوى بها سنة ، ثم بدا له فقالت لا أرضي حتى تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال يا رسول الله إن أم هذا بنت ربيعة انجبتني أن أشهدك على الذي وهبت لابنها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا بشير أباك ولد رسول الله ؟ قال نعم . فقال : أكلهم وهبت له مثل هذا ؟ قال : لا ، قال : فلا تشهدني إذا فإني لا أشهد على جور) .

وهذه الحادثة قد رويت عدة روايات ، وكلها تدل على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقر بشيرا على هذا التصرف ، بل ورد في بعض الروايات أنه غضب وصرخ بكرر قوله لبشير اذهب فأشهد على هذا فغيرني ، ثم ختم كلامه بقوله : فإني لا أشهد على جور . فهذا التصرف لم يحله أحد من العلماء ، بل حرمه أكثرهم وكرهه بعضهم . ولما كان الحديث صريحاً في الحرمة ، حيث قال الرسول : فإني لا أشهد على جور ، فثبت على أنه جور وظلم وهو حرام ، ولذلك رجع بشير في عطية لابنه النعمان . وورد في بعض الروايات ما يفيد أن ذلك التصرف يكون سبباً في عقوق الأبناء ، فلا شك، إذاً في حرمة لأنه يورث الفتنة بين الأولاد . ويأمل قارئهم حينئذ على بعضهم البعض ، كما يملأ ما حدثنا على الرواة الجائز ، وكثيراً ما سمعنا عن الآثار السيئة لهذا التصرف ، ولا غرق في التبيين بالعطاء بين الذكر والأنثى . فإن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لبشير أباك ولد يشملهما لأن الولد يشمل الابن والابنة . وكذلك قوله : (أعطيت سائر ولدك مثل هذا ؟) لفظ الولد يشمل الذكر والأنثى ، فلا يجوز التفرقة في العطية بين الأولاد ذكورهم وإناثهم .

فليت الذين يرفعون الصوت مطالبين بالتسوية بين الذكر والأنثى في الميراث وقنوا
بهمين بالتأييد عند حدود الثريعة الإسلامية وحافظوا على إبتائهن حقوقهن كاملة ، وعملوا
على منع هذا التصرف الذي هو في الحقيقة والواقع احتيال لإبطال ما شرعه الله ، وطلب
لحرمان الإناث من حقوقهن في الميراث وقد أعطاهن الله .

ألا إنى أقترح أن تصدر الحكومة تديراً يمنع الآباء والأمهات من الهبة أو البيع
الصوري في حال الحياة للأبناء مع وجود أخوات لهم ، فإن ذلك في الحقيقة كما قدمنا لتأجيل
منع الإناث من الميراث ، وإنى لكفيل بأن نساءنا سيرضين بهذا ، بل سيفرحن بما آتاهن
العلم الحكيم في الموارث « ومن يفتخ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة
من الخاسرين » .

بسمد الرحمن عيسى

مدير المجلة

حفظ أبي هريرة

كانت موهبة الله لأبي هريرة في الحفظ نعمة من نعم الله على الإسلام ، فحفظ من أسكبه
وسننه ما كان يحتمل أن ينسحق لولا ذلك . قال البخاري : روى عن أبي هريرة نحو الثمانمائة
من أعمال العلم ، وكان أحفظ من روى الحديث في عصره . وقال الربيع قال الشافعي :
أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في عصره . وقال أبو الربيعة كاتب مروان وهو أمير
الديانة : أرسل مروان إلى أبي هريرة فجلس يحدثه ، وكان أجلسني خلفه ، فكتب
ما يحدث به . حتى إذا كان في رأس الحول أرسل إليه فسأله ، وأمرني أنظر ، فما عير حرفاً
عن حرف . وقال الحاكم صاحب المستدرک على الصحيحين : كان أبو هريرة من أحفظ أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزمهم له محبة على شبع بطنه ، فكانت يده مع يده . يدور
معه حيث دار إلى أن مات ، ولذلك كثر حديثه : وأخرج البخاري في صحيحه من طريق
سميد المتبري عن أبي هريرة أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم : من أسعد الناس بشفاعتك ؟
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد ظننت أن لا يسألني عن هذا أحد أولى منك ،
لما رأيت من حرصك على الحديث » . وحسب أبي هريرة هذه الشهادة النبوية له الثابتة في صحيح
البخاري ، ومن يسوؤه ذلك فليمت بخيظه .

نقد كتاب

أضواء على السنة المحمدية

— ٥ —

في ص ٨١ ، ٨٢ نقل المؤلف بالهامش كلاماً عن دائرة المعارف الإسلامية في وضع الأحاديث جاء في آخره « وعلى هذا لا يمكن أن نعد للكثرة من الأحاديث وصفا تاريخيا صحيحا لسنة النبي ، بل هي على عكس ذلك تمثل آراء اعتنقها بعض أصحاب النفوذ في القرون الأولى بعد وفاة محمد صلى الله عليه وسلم ونسبت إليه عند ذلك فقط . ومعنى ذلك أن أكثر الأحاديث من آثار الوضع وقد مر على هذا الكلام دون أن يعلق عليه بكلمة ومعنى هذا أنه يرتضيه بل ما ذكره في كتابه هو ترديد لهذا المعنى .

وإني لأقول : إن هذا القول فيه إسراف وشطط في الحكم فليست الكثرة من الأحاديث من آثار التطور في الإسلام وأنها لا تمثل الواقع في نسبتها إلى النبي صلوات الله وسلامه كما زعم كاتب هذه المادة في دائرة المعارف الإسلامية ، بل الكثرة من الأحاديث المدونة ثابتة بطرق الإثبات الموثوق بها ، ومتلزمة عن النبي . وقد احتاط أئمة الحديث عند جمعه غاية الاحتياط ، وعنوا بنقد السند والمتن عناية فائقة ، كما وضحت ذلك فيما سبق بما لا يدع مجالاً للشك في هذا ، وميزوا المقبول من المردود ، وكان لهم إلى جانب ما وضعوا من أصول وقواعد لنقد المرويات ملكة خاصة يميزون بها بين الغث والسمين ، ونحن لا ننكر ما كان للخلافات السياسية والمذهبية والكلامية من أثر في وضع الأحاديث ، ولكن الذي نذكره غاية الإنكار أن تكون الكثرة من الأحاديث المدونة من آثار الوضع والاختلاق .

* * *

وفي ص (٩١) ذكر فصلاً عنوانه « معاوية والشام » ذكر فيه ما وضع في فضائل معاوية رضي الله تعالى عنه وبلاد الشام ، وذكر في حق هذا الصحابي الجليل أنه من الظلماء ومن المؤلفة قلوبهم ، وقد غاب عنه أن الكتابين في تاريخ الصحابة ذكروا عن الواقدي

وابن سعد أنه أسلم بعد الحديبية قبل الفتح وأنه أخفى إسلامه مخافة أهله [١] وأنه كان في عمرة القضاء مسلماً ، وإذ كان هو وأبوه من المؤلفة قلوبهم في رأى البعض فتى رأى الكثيرين أنه ليس من المؤلفة قلوبهم . قال أبو عمر بن عبد البر : معاوية وأبوه من المؤلفة قلوبهم ذكره في ذلك بعضهم « وهو يشعر بأن الكثيرين لا يريدون هذا الرأى ولذا نجد الحافظ المحقق ابن حجر لم يذكر في ترجمته شيئاً من هذا وإنما ذكر في ترجمة أبيه أنه من المؤلفة قلوبهم ، ومهما يكن من شيء فقد أسلم وحسن إسلامه وكان أحد كتبة الوحي بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وكان له جهاد مشكور في نشر دعوة الإسلام ، وتوسيع فتوحاته . ولم تعرف عنه دخلة في إيمانه ولا ريبة في إخلاصه لإسلامه .

ونحن لانشك أنه وضع في فضائله أحاديث كثيرة وكيف وقد أحصى الأئمة كل ذلك ، ولكننا نجله عن أن يكون له دخل فيما وضع في فضائله وفضائل الشام بل وعن الرضا به ، ولئن قال الإمام اسحق بن راهويه : إنه لم يمسح في فضائل معاوية شيء : فتد ذكر له الإمام الكبير البخارى بعض فضائله ، ولا يضيره كون الإمام البخارى أثر التعبير في حقه بافظ « باب ذكر معاوية رضى الله عنه » ولم يقل « باب فضل معاوية » كما صنع في غالب الأبواب فقد صنع مثل هذا في فضل العباس وابنه عبد الله رضى الله عنهما [٢] كما لا يضيره أن البخارى رحمه الله لم يخرج حديثاً مرفوعاً على شرطه في فضله وأنه خرج في صحيحه حساً يثنى موقوفين عن ابن عباس رضى الله عنهما أحدهما يثبت الصحبة ، والثاني الفقه في الدين ، وبحسب معاوية فضلاً عند المنصفين أن يكون صحابياً وفقهياً ، ثم إن عام ثبوت حديث في فضائله مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم على شرط البخارى لا يبنى ثبوت أحاديث في فضائله خرجها غير البخارى من أصحاب الكتب المعتمدة . وقد ذكر المؤلف نفسه حديثين مرفوعين في فضائله رواهما الترمذى وهما من أصح ما ورد في فضائله ، وقد عرض لما ورد في فضائله الحافظ الناقد ابن كثير في « البداية والنهاية » [٣] وبين الموضوع من غيره ثم قال : « ساق ابن عساكر أحاديث كثيرة موضوعة بلا شك في فضل معاوية أضربنا عنها صفحاً واكتفينا بما أوردنا من الأحاديث الصحاح والحسان والمستجدات عما سواها من الموضوعات والمنكرات »

(١) الاستيعاب ج ٣ ص ٢٩٥ على هامش الإصابة ، والإصابة ج ٣ ص ٤٣٣ ، وفتح البارى ج ٦ ص ٨٢

(٢) فتح البارى ج ٦ ص ٦٢ ، ٨٠ . (٣) ج ٨ ص ١٢٠ وما بعدها .

وإذا فليس من الإنصاف في البحث أن نحمل كل ما ورد في فضائله موضوعاً وأن نجرده من كل خصيصة وفنيل .

وأيضاً فإننا لا نذكر ما وضع في فضل الشام وغربها من البلاد المشهورة ، وكذلك لا نذكر أن أحاديث الأبدال التي عرض لها ممدوسة على النبي صلى الله عليه وسلم كما به على ذلك نقاد الحديث وجهابذته ، وإن كان البعض قد أثبت بعضها ، ولكن الذي نذكره البتة أن يكون معاوية رضي الله عنه هو الذي أوحى بهذا الاختلاق ، وأن يكون له ضلع فيه وإليك شمهز ولمزه في ص (٩٤) قال : وما كاد معاوية يذكر - يعني في خطبته التي خطبها لمساعد من العراق إلى الشام بعدبيعة الحسن سنة ٤١ هـ - أن الشام هي أرض الأبدال حتى ظهرت أحاديث مرفوعة عن هؤلاء الأبدال ثم ذكرها : وما يقيم المؤلف حجراً ويبنى الظنة واتهمه من معاوية رضي الله عنه ما قاله الشيخ الإسلام ابن تيمية من أن لفظ الأبدال لم يرد إلا في حديث شامي منقطع الإسناد عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال : إن الأسماء أنه ليس من كلام النبي ، ومن العجيب حقاً أن المؤلف نقل كلام ابن تيمية عن كلام نقله عن السيد رشيد رضا رحمه الله في تزييف أحاديث الأبدال من ص ٩٩ ب ٩٩ فلو أن هذا الحديث كان مروياً عن معاوية لقلنا منه : لعل وعسى : ولكن الأمر كما ترى ، وقد حاول السيد رشيد أن يبين أن الحديث المروى عن علي رضي الله تعالى عنه على فرض ثبوته ليس المراد به الأبدال بالمعنى المعروف عند الصوفية ، ولكن المخرف والمزلة بين هم الذين حاولوا على هذا ، ومن أعجب العجب أيضاً أن المؤلف ينقل نتولاً يستجودهما ، وهي في الواقع ونفس الأمر تردد ما يعتنقه ويرواه عن آراء مبتدرة ، وقد فعل ذلك في عدة أمثلة كثيرة من كتابه .

وقصادي القول أن أئمة الحديث وصيافه قتلوا الرويات بحثاً وأفتروا أعمارهم فيها ، ولم يدعوا رواية في الفصائل وغير الفصائل إلا وبينوا مكانها من الصحة أو الحسن أو الضعف والاختلاق وبحسبك أن تستعرض الكتب التي ألفت في الأحاديث المرفوعة وستبين صدق ما أقول ، فهم لم يقصروا في خدمة السنة وتزييف الزائف منها ، ولكن المتأخرين هم الذين غصرت بهم الهمم عن العلم بما دون فنهم ثم وقعوا في كثير من الأخطاء والأغلاط قال في ص ١٠١ أن وشاع الحديث وضعوا أحاديث تسوع لهم ما يدعون ثم قال : وأورد ابن حزم في الأحكام عن أبي هريرة مرفوعاً قال : إذا حدثتم عنى بحد بى يوافق الحق نخنوا به حدثت به أو لم أحدث ، وعند أيضاً ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما بلغكم عنى من قول

حسن لم أقله فأنا قلته ، ونحن لا نشك .. ولا أى عاقل - فى أن هذين الحديثين وما على شاكلةهما - تناقضا وتهاوتا - موضوعان ، وأن نظرة فاحصة إلى المتن لتدلنا أن هذا لا يصدر عن معصوم فضلا عن عاقل فكيف يتأتى من أعقل العقلاء أن ما لم يملكه ما دام - حسنا فقد قاله ؟ بل كيف يأمر بالأخذ بحديث حدث به أولم يحدث ؟ إن هذا لعجب عجيب !

ولو أن المؤلف اقتصر على ذكر الحديثين الموضوعين فى الاستدلال لما قال ، لما كان لنا عليه أية مؤاخذه ولا استقام كلامه ، ولكن الذى أتواخذه عليه أن يأتى فى الهامش بعد ذكر الحديثين فيقول ما نصه : ينسب هذين الحديثين حديث رواه أحمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا سمعتم الحديث عنى تعرفه قلوبكم وتلين له ألسنتكم ، وترون أنه منكم قريب فأنا أولاكم به ، وإذا سمعتم الحديث عنى تسكره قلوبكم وتنفر منه ألسنتكم وأبشاركم وترون أنه منكم بعيد ، فأنا أبعدهم منه ، قال السيد رشيد إن إسناده جيد .

فإذا كان السيد رشيد رحمه الله الذى يعول عليه فى كثير من نقوله ريعبهره من العلماء المحدثين . قال : إن إسناده جيد . فكيف سرغت له نفسه أن يلحقه بهذين الحديثين اللذين لا شك فى وضعهما ونسكارتهما كما قال حفاظ الحديث وناقده ، والعجيب أن المؤلف يعتمد على كلام السيد محمد رشيد رضا فى كثير مما يعقل ويأخذه قضية مسلبة أما هنا فقد خالفه ولم يأخذ بكلامه وصدف عن الحق إلى الباطل ، والذى يظهر لى أن المؤلف رجس هوى ومزاج فما وافق هواه أخذ به أو أخذ منه ، وما لم يوافق هواه طرده دبر أذنيه ، واعل السيد رشيد رحمه الله اعتمد فى الحكم على الحديث بالجودة على ما قاله الحافظ ابن كثير فى تفسيره (١) عقب ذكره : رواه أحمد بإسناد جيد ، ولم يخرج أحد من أصحاب الكتب ، والحق أن لا شبه بين الحديثين وهذا الحديث لا فى الثبوت ولا فى المعنى فدانك موضوعان وهذا حسن ، وهذا الحديث الذى رواه الإمام أحمد قريب فى المعنى من حديث : استفت قلبك ، وإن أفتاك الناس وأفتوك ، فهو يشير إلى الإلمام بالحق أو عدم الإلمام به عند سماع حديث من الأحاديث ، وهذا الوجدان القلبى إنما يحصل للمسلم الذى عمر قلبه بالإيمان واستضاء بهدى الشريعة ، ومعرفة قواعدها ، والذى يزاول السمة ، ويتعاهدها قراءة ودرسا

وفهما حتى تصير عنده ملكة يميز بها بين ما يكون من كلام النبي وما ليس كلامه وإلى هذه الملكة أشار الربيع بن خثيم حيث قال « إن للحديث ضوءا كضوء النهار تعرفه وظلمته كظلمة الليل تذكره » وقال ابن الجوزي « الحديث المنكر يتمشعر له جلد الطالب للعلم وينفر منه قلبه في الغالب » وهكذا يتبين لنا أن الحديث ثابت رواية وصحيح رواية ومعنى .

وقد ذكر المؤلف من ص ١٠٥ - ١٠٧ عن كتاب « قواعد التحديث » للعلامة القاسمي نقولا كثيرة عن بعض الأئمة كابن تيمية وابن القيم وابن دقيق العيد وابن عروة الحنبلي وكلها تدور حول الحديث عن الوجدان القلبي والملكة التي تحصل عند المحدث ويميز بها بين الصحيح والسقيم ، والمقبول والمردود .

في ص ١٠٤ ذكر الوضع بالإدراج ، وجعل المدرج من قبيل الموضوع ، وإطلاق الموضوع على المدرج تساهل نعم إن بعض أئمة الحديث كابن الصالح اعتبر الإدراج عن طريق الغلط بظن ما ليس بحديث حديثاً - ملحقاً بالوضع وشبهها به ، والأكثر على عده إدراجاً خسب ، وكان على المؤلف أن يميز بين الإدراج الذي لا لبس فيه ولا إشكال ولا إيهام ، والإدراج الذي فيه لبس وإيهام أن ما ليس من الحديث هو منه ، فالإدراج الذي يكون لتفسير كلمة غامضة أو توضيح اسم مبهم في السند ، والإدراج الذي يكون معه من القرائن اللفظية أو الحالية ما يدل على أنه مدرج من كلام الراوي أمره سهل هين ، ولا يخل بعدالة الراوي ، وهو أبعد ما يكون من الوضع ، وأما الإدراج الذي يكون فيه إيهام ولبس وهو الذي لا تصحبه قرائن فهو حرام كله إذا كان متعمداً ، ويخل بعدالة الراوي ، ويلحقه بالكذابين قال السمعاني : « من تعمد الإدراج فهو ساقط العدالة ، ومن يحرف الكلم عن مواضعه ، وهو ملحق بالكذابين » ، وهكذا يتبين لنا جليا تساهل المؤلف في عده الإدراج كله وضعاً ، وعلى قاعدة المؤلف يكون كثير من أئمة الحديث الذين يدرجون للتغير أو توضيح المبهم موصوفين بالوضع ، فالزهري لما روى حديث بدء الوحي في الصحيحين فسر كلمة التحث بالتعبد يكون وضاعاً ، وراوى حديث النساء « أنا زعيم » - والزعيم الخيل - يكون وضاعاً وأبو هريرة لما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم « للعبد المملوك أجران » ، والذي نفسي بيده

لولا الجهاد في سبيل الله والحج وبر أمي لأحببت أن أموت وأنا مملوك ، وهو في الصحيح يكون قوله « والذي نفسي بيده الخ » من قبيل الوضع ، وهذا المثال الأخير بما يتبين فيه الإدراج بداهة لاستحالة أن يقوله النبي صلى الله عليه وسلم لأن أمه ماتت وهو صغير ، ولأنه يتمتع منه أن يتمتع الرق وهو أفضل الخالق على الإطلاق ، فما ذهب إليه المؤلف لا يقره عليه أي باحث ولا خبير بالفن ! ! وبحسبنا هذا اليوم وإلى المقال التالي إن شاء الله ؟

محمد محمد أبو شهبه

الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين



الصحابة عدول ، بتعديل الله ورسوله لهم

عقد الخطيب البغدادي فصلا نفيسا في (الكفاية) ص ٤٦ - ٤٩ عن عدالة الصحابة بتعديل الله لهم ، وثناء رسوله عليهم ، وبعد أن أورد الآيات والأحاديث المستفيضة في ذلك قال : وجميع ذلك يمتضى طهارة الصحابة ، والقطع على تعديلهم ونزاهتهم ، فلا يحتاج أحد منهم - مع تعديل الله لهم ، المطلاع على بواطنهم - إلى تعديل أحد من الخلق له . على أنه لو لم يرد من الله عز وجل ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه لأوجبت الحال التي كانوا عليها القطع على عدالتهم ، وأنهم أفضل من جميع المعدلين والمزكين يحيئون من بعدهم إلى أبد الآبدين .

ثم نقل قول الإمام الحافظ أبي ذرعة الرازي : « إذا رأيت الرجل يتنقص أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم أنه زنديق ؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم عندنا حق ، والقرآن حق . وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن ، أصحاب رسول الله ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبتلوا الكتاب والسنة . والجرح بهم أولى ، وهم زنادقة . »

برامج ومناهج

-- ٢ --

حين كان شق المقرض يعمل عمله على هذا النحو في أوساط الناشئة والمتعلمين ، كان الشق الآخر يمارس ذلك العمل نفسه في إعداد معلم اللغة العربية ومعلم الدين . والواقع أن المحاولات المبذولة في أوساط المعلمين أسبق من نظيرتها المبذولة في أوساط النشء والمتعلمين . فمن الممكن إرجاعها إلى إنشاء كلية الآداب ، بل إن من الممكن إرجاعها إلى إنشاء « دار العلوم » . ونقد عرف ذلك حق المعرفة أحد أبناء هذه الدار حين قال (ثم جاء حمزة فتح الله وحفني ناصف والإسكندري والسنانى والجارم وضيف من رجال دار العلوم ، فألقوا في الأدب والعلوم العربية مع الاقتباس من مناهج الغرب في نظام التأليف ، ويعتبر هؤلاء رجال المرحلة الوسطى التي مهتات مرحلة الجامعة ورجالها)^(١) . ومع ما أعلاه من أن بيان هذا الإجمال شديد الصلة بموضوعنا فإنى أخشى أن يتشعب بنا الحديث ويطول حتى ينسبنا مانحن فيه . لذلك أدرج تفصيل هذا الإجمال لموضع آخر قد أعود للحديث عنه مع غيره من الخطط والأساليب التي استهدف بها الإنجليز إضعاف (الأزهر) لأنه كان يصيغ التعليم بالصيغة الإسلامية في مصر ، بل في البلاد الإسلامية عامة والعربية خاصة ، وذلك بمحاصرته وعزله عن الحياة وسد أبواب الرزق أمام المتخرجين فيه وحصرها في باب واحد هو خدمة المساجد .

فلندع إذن ذلك الحديث الطويل لفرصة أخرى ، ولأكتف هنا بأن أبدأ بكتاب « مستقبل الثقافة في مصر » الذي كتبه طه حسين في أعقاب معاهدة ١٩٣٦ ، والذي أصبح مكانه من كل حركات الهدم التي يسمونها إصلاحاً مثل مكان الدستور من القوانين . ولأكتف من هذا الكتاب في هذا المقام بفقرة واحدة منه هي الفقرة التاسعة والأربعون ، التي أشار فيها إلى لونين من ألوان الدراسة اقترح إنشاءهما في كلية الآداب ، وسعى عند المسؤولين

[١] الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة ص ٤٦ . من مقال الأستاذ محمد خلف الله عن « القيم الإسلامية والحياة الأدبية في مصر الحديثة » .

في وضع اقتراحه موضع التنفيذ ، فلم يحالفه النجاح في أيهما . أما أحد المشروعين فهو يدعو إلى إنشاء معهد للأصوات لدراسة اللهجات قديمها وحديثها . وقد عارض وكيل المالية الذي كان ممثلاً للدولة في مجلس الجامعة وقتذاك في منحه ما يحتاج إليه من مال ؛ لأنه لم يستطع - على رواية المؤلف - أن يفهم قيمة هذا المعهد وحاجة المتعلمين إليه . أما المشروع الآخر فقد كان يدعو إلى إنشاء معهد للدراسات الإسلامية يلحق بكلية الآداب . ومهمة هذا المعهد كما تصورها طه حسين هي العناية بالدراسة الإسلامية (على نحو على صحيح) . والمبرر لإنشائه عنده هو أن (كلية الآداب متصلة بالحياة العلمية الأوروبية . وهي تعرف جهود المستشرقين في الدراسات الإسلامية . ومن الحق عليها أن تأخذ بنصيبها في هذه الدراسات لتلاقي بين جهود مصر التي ترى لنفسها زعامة البلاد الإسلامية وبين جهود الأمم الأوروبية) .

ومضى على هذين المشروعين الفاشلين زمن طويل حتى كاد الناس ينسون ما كان من أمرهما وأمر صاحبهما . ودارت الأيام دورتها فإذا المشروعان يظهران من جديد ، ينجح أحدهما في اتخاذ طريقه إلى التنفيذ بإنشاء شعبة في قسم اللغة العربية بجامعة الإسكندرية تدعى (شعبة الدراسات العربية الحديثة) وهي شعبة لاتزال - لحسن الحظ - حياً على ورق منذ أنشئت في سنة ١٩٥٥ . وما أظن أن الطريق أمامها ميسر في واقعنا العربي الراهن . أما المشروع الآخر فقد عاد للظهور في صورة اقتراح مقدم من أحد أعضاء لجنة التربية الدينية بوزارة التربية والتعليم . وكما كان صاحب الاقتراحين القديمين شخصاً واحداً هو طه حسين ، فقد كان صاحب الاقتراحين الجديدين شخصاً واحداً أيضاً هو الأستاذ محمد خلف الله . وقد اقترن المشروعان الجديدان بظروف وملابسات تدعو إلى التدبر والتأمل .

بدأت فكرة هذين المشروعين في مؤتمر للثقافة الإسلامية عقد في صيف سنة ١٩٥٣ بدعوة من جامعة برنستون الأمريكية ، ودعى إليه مندوبون من مختلف البلاد الإسلامية بين أندونيسيا شرقاً والمغرب العربي غرباً ، واشترك معهم عدد مساو من الأمريكيين ، بعضهم من رجال وزارة الخارجية وبعضهم من المبشرين الذين يسترون أهدافهم الهدامة تحت اسم البحث العلمي ، وفريق ثالث من موظفي شركات البترول .

أما مشروع (إنشاء قسم أو شعبة للدراسات الإسلامية في كل كلية للآداب بالجامعات

المصرية) (١) فقد بناء صاحبه على أن الركن الأكبر في نجاح التربية الدينية (هو المعلم الذي ينبغي أن يعاد النظر في تكوينه وإعداده ، وأن يرسم لذلك منهج جديد يحقق له عمق الثقافة وحرية الفكر - ص ١٦٤) . وبناء كذلك على (أن قيام مصر بنصيبها في تقدم الإنسانية وفي حل مشكلات الحياة المعاصرة يتطلب من المصريين تعمقا في دراسة دينهم ، وتبين موقفه من مختلف المذاهب والاتجاهات التي يحجى بها التطور الاجتماعي والفكري - ص ١٦٥) . واقترح فيما اقترحه من الدراسات في هذا القسم دراسة « سيكولوجية الدين » و « التاريخ الديني والفكري للبشرية قبل الإسلام » ، و « ما كان لمصر وعلمائها بين الأمم الإسلامية من آثار عليية خالدة » و « النظم الدينية والأخلاقية المقارنة » .

فالدراسة المقترحة تقوم على أساسين . أولها استبعاد الأزهر من القيسام بوظيفة تعليم الدين لأن مناهجه لا تحقق للدارسين فيه (عمق الثقافة وحرية الفكر) ، وثانيهما هو الصبغة المصرية التي تبرز في الإشارة إلى مهمة مصر القيادية في حل مشكلات الحياة المعاصرة ومسايرة التطور الاجتماعي ، وهو تطور غربي بالبداية ، كما تبرز في إمداد الدارس بما يقوى فيه الاعتزاز بفتحهم الإسلام وعلمائه من المصريين خاصة ، مما يوجد لونا من الشعبية الإسلامية يشبه الشعبية السياسية .

والصلة واضحة بين هذا المشروع وبين مشروع طه حسين من ناحية ، وبينه وبين ما ألقى في مؤتمرات الثقافة الإسلامية السالف ذكره من ناحية أخرى . فهو قريب الصلة بما جاء في كلام الإسماعيلي الهندي المتجلىز آصف على فيظي عن الإسلام الهندي الحديث المتأثر بالمذاهب الغربية ، والذي أنشئت جامعة عليكرة ، الكلية المحمدية الإنجليزية ، لنشره وترويجه

[١] نشر هذا الاقتراح في مجلة « الأسرة » التي يصدرها قسم اللغة العربية بجامعة الإسكندرية في العدد ٦ سنة ١٩٥٧ [ص ١٦٥ - ١٦٥] . وفي آخره إشارة إلى أن صاحب هذا الاقتراح قدم معه مذكرة تفسيرية منفصلة عن مواد الدراسة وعدد الدروس في كل مادة بالنسبة لكل سنة من سني الدراسة في هذا القسم . ولم يتيسر في الاطلاع على هذه المذكرة .

(ص ٨١ - ٨٢ من كتاب « الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة » نشر فرنكلين ١٩٥٦) كما يذكرنا بما زعمه من أن التصور الأساسي (لا يمكن المحافظة عليه سليماً إلا بإعادة تفسيره وإعادة تقريره في كل عصر وفي كل مرحلة من المداينة) ، وبدعوته إلى الاستفادة من الدراسات الحديثة في علم النفس ومن الفكر الأوروبي والفكر البروتستنتي والتفكير المدرسي المسيحي والتفكير اليهودي (ص ٤١١) . ولعل له صلة مع ذلك كله بمقررات « اللجنة الدائمة للتعاون الإسلامي المسيحي » التي شارك صاحب الاقتراح في اجتماعها في بجمدون سنة ١٩٥٤ وفي الإسكندرية سنة ١٩٥٥ . أما ما جاء في المشروع عما سماه صاحبه « سيكولوجية الدين » فهو شديد الشبه بكلام القسيس الأمريكي ميلبروز في دعاواه الهدامة التي طاب فيها بوضع (تجربة الدين) و (تجربة النبوة) والمعجزات والصلاة والحياة الآخرة موضع البحث وإخضاعها لقواعد علم النفس الحديث (ص ٤٣ - ٤٩) . وهو من ناحية أخرى استجابة لدعوة القسيس الأمريكي الآخر هاروند سميث الذي قال « إن وجهتي في هذا المقال هي أن أستعرض بعض الاتجاهات الحديثة ، وأن أقترح طرقاً لدراسة النظرية الإسلامية المهمة في الإنسان ... ولا شك أن القيام بهذه الدراسة على وجهها الكامل أمر متروك لعلباء المسلمين أنفسهم - ص ٥٩ . » وغير خاف ما تنطوي عليه (سيكولوجية الدين) من مفاهيم ، أولها وأبرزها أن الدين ظاهرة نفسية ليس لها وجود خارجي حقيقي ، لأن من المعروف أن هذه (السيكولوجيا) ترد كل التصرفات إلى مصدر مجهول في أعماق النفس البشرية يسمونه (العقل الباطن) . ولا أدري ولا يدري أحد أين هو على وجه التحديد ، ولكنه في داخل الإنسان على كل حال وليس خارجه ، ليس وحياً وليس تنزيلاً . يقول المبشر ميلبروز صاحب الاقتراح الأصل إن (تجربة النبوة) يمكن « أن تلاحظ وتدرس بنفس الطريقة ، وإلى نفس الدرجة التي يمكن بها ملاحظة التأثيرات الدوقية والوجدانية ودراستها - ص ٤٣ . » ويقول « ويستطيع العالم أن يشير إلى أن التجارب الدينية - منظورها إليها في ضوء الظواهر لسيكولوجية - لا يمكن تمييزها من أوهام الحس - ص ٤٤ . » ويقول « إنه ليس للدين أن يتوقع أن معتقداته ستؤخذ قضايا مسلبة ، على أساس أنها جاءت من طريق الوحي ، وأن راءها سلطة التقاليد القديمة أما العلم فإنه يرى في روح البحث الخرجوهر الحياة . وإذا كان الدين يريد أن يضمن احترام العلماء فعليه أن يظهر استعدادة لعرض قضاياها لضموم

العقل ، غير محتم بسلطة إلا سلطة الحقيقة نفسها - ص ٤٥ ، [١] . ولعل ذلك كله هو ما قصد إليه الأستاذ محمد خلف الله في مذكرته من (عمق الثقافة وحرية الفكر) .

تلك هي قصة أحد المشروعات . أما المشروع الآخر فهو متصل بمناهج جديدة للدراسة في قسم اللغة العربية بجامعة الإسكندرية . وهو قسم لا يشتغل المتخرجون فيه بغير تعليم اللغة العربية في بلاد العرب كما هو معروف . فلننظر : هل تعد هذه الدراسة برامجها الجديدة للقيام بهذه المهمة ؟ .

تقوم هذه البرامج - كما هو واضح من جداول الدراسة المذكورة في تقويم كلية الآداب بجامعة الإسكندرية للعام الدراسي ١٩٥٥ - ١٩٥٦ ص ٨٥ - ٨٦ ، ومن المذكرة التفسيرية الخاصة بها ص ٩٥ - ٩٧ - على تفرقة أساسية بين مرحلتين من مراحل الأدب العربي ودراساته . فالمرحلة الأولى تشمل الأدب العربي والدراسات المتصلة به منذ عرفة التاريخ إلى بداية القرن التاسع عشر الميلادي . أما المرحلة الثانية فهي تقتصر على ما يلي ذلك باعتباره مرحلة مستقلة تختلف موادها وأسلوب الدراسة فيها وأهدافها عن المرحلة السابقة . فالمنهج يسمى المرحلة الأولى (الدراسات العربية في مرحلتها الكلاسيكية) تارة ، ويسمى (الدراسات العربية القديمة) تارة أخرى (ص ٩٥ من تقويم كلية الآداب السابق ذكره) بينما يعرف المرحلة الثانية ويصفها بقوله : (الأدب العربية في نهضتها الحديثة منذ القرن التاسع عشر ، وما كان للفكر العربي من اتصال وتأثر بالثقافة الغربية) . وقبل أن يبدأ الطالب تخصصه في إحدى هاتين المرحلتين يدرس في سنتيه الأولى والثانية دراسة عامة يتعرف فيها (أركان الدراسات العربية في مرحلتها الكلاسيكية) كما تقول المذكرة التفسيرية (ص ٩٥) يخير بعدها بين متابعة الدراسة في (شعبة الدراسات العربية والشرقية القديمة) أو متابعتها في (شعبة الدراسات العربية الحديثة) . ولأدع الشعبة الأولى ، على ما يشوب دراستها من

(١) الرد على كل هذه الدعاوى سهل يسير . وهو يتلخص في أن العلم البشري لا يصلح لأن يكون فيصلا إلا في شئون المادة المحسوسة التي يجري عليها تجاربه ، بل في بعض شئون هذه المادة مما تيسر له الكشف عنه . أما ما وراء المادة من الغيب الذي لا يحويه إلا الله سبحانه وتعالى فالعلم عاجز عن إبداء رأى فيه . وكل ما يقال في التشكيك فيما جاء به الدين ليس إلا ظنونا لا تتجاوز مرتبة العروض العلمية . وذلك هو قول الله تبارك وتعالى فيما أنزل على نبيه « وما يتبع أكثرهم إلا ظناً . إن الظن لا يغني من الحق شيئا » وقوله سبحانه وتعالى : « بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله » .

نقص ، وما تنطوي عليه من انحراف تصوره جداول الدراسة الغارقة في مواد أجنبية تغطي على علوم العربية الأصيلة وتضييق عليها المجال ، ويكفي أن أقدم مثالا واحداً لذلك في درس الأدب العربي الذي لا يتجاوز ساعتين كل أسبوع ، بينما يشغل درس اللغة العبرية وآدابها ، أو البريانية وآدابها ثلاث ساعات أسبوعية من وقت الطالب في كل من السنتين الثالثة والرابعة . ومن شاء المزيد من الأمثلة فليرجع إلى المذكرة التفسيرية (ص ٩٦) ليرى ما تتضمنه محاضرات (الدراسات الإسلامية) و (النقد والبلاغة) من مفاهيم منحرفة تبعد الوقت الضئيل المحدد لها في قشور تبعدها عن طبيعتها الإسلامية والعربية ولا تصل إلى أعماق المادة ولها . ومن شاء المزيد من الوضوح فليرجع إلى ما بين أيدي الطلاب من مذكرات ليعرف مبلغ ما يحصلونه ونوعه . أقول إنني لا أريد أن يتشعب بي الكلام في هذه الشعبة (القديمة) ، وأريد أن أحصر كلامي في الشعبة الأخرى (الحديثة) لأن البلية بها أكبر ، فهي تسقط من حسابها كل العلوم العربية نحوها وصرفها وبلاغتها ونصوصها الفصحى شعراً ونثراً ، كأن ذلك كله ليس له وجود وليس له آثار وليست لنا به حاجة منذ القرن التاسع عشر الذي حصرت الشعبة دراساتها فيه وفيما يليه ، كما تشير إليه المذكرة التفسيرية ، وأكتفي في هذا الموضوع بأن أنبه القارئ إلى ما ذكرته من أمر المناهج التي تريد أن تفصل حاضرتنا ومستقبلنا عن ماضينا ، لاستأنف إكمال الصورة التي نحن في صددنا بنقل ما جاء في المذكرة التفسيرية عن مواد الدراسة في هذه الشعبة بسنتها :

« في السنة الثالثة :

- ١ — تاريخ النهضة العربية الحديثة في القرن التاسع عشر .
- ٢ — الأدب العربي الحديث في مصر والبلاد العربية .
- ٣ — تاريخ النقد الأدبي الحديث ، مع العناية بنواحي الاتصال بينه وبين النقد الأدبي الأوروبي .
- ٤ — التطور اللغوي العربي في العصر الحديث ، مع العناية بمشكلة الفصحى والعامية .
- ٥ — تيارات الفكر الإسلامي وحركات التجديد في العصر الحديث [١] .
- ٦ — المذاهب الكبرى في الآداب الغربية وتأثيرها في الفكر العربي .

[١] ذكرت هذه المادة في جداول دراسة الشعبة الحديثة تحت اسم : « تطور الفكر الإسلامي في العصر الحديث » ، وذلك في مقابل « دراسات إسلامية » في جداول الشعبة القديمة . فتأمل !

«في السنة الرابعة :

- ١ — الحياة الثقافية والاجتماعية في البلاد العربية وصنيتها بالأدب .
- ٢ — مدارس الشعر العربي الحديث .
- ٣ — مدارس القصة .
- ٤ — فنون الأدب الشعبي .
- ٥ — اللهجات العربية الحديثة .
- ٦ — ويقوم الطالب بدراسات لغوية حديثة ، مع العناية بالنحو المقارن
والأصوات اللغوية .

هذه هي مواد الدراسة في الشعبة (الحديثة) منقولة عن المذكرة التفسيرية الملحقمة بالجدول حرفا بحرف (ص ٩٧ من تقويم الكلية السابق ذكره) ، وهي تخلو خلوا تاما — كما ترى — من درس واحد في النحور أو الصرف أو البلاغة أو القرآن أو الدراسات الإسلامية أو الأدب العربي السابق على الحملة الفرنسية ، ويترتب على هذه الظاهرة الخطيرة أمران خطيران : أولهما عدم صلاحية المتخرج في هذه الشعبة لتدريس اللغة العربية التي يجمل نحوها وصرفها وأدبها وبلاغتها . ليس هذا فحسب ، بل إنه سيكون حربا على العربية ومعمل هدم يعمل فيها ؛ لأنه إذا سئل عن شيء مما يجمله غطى جهله بالتهكم بالعربية وقواعدها وأساليبها ، وسيكون من آثار ذلك أن ينشأ جيل من الناس لا يقيم العربية ولا يتنوقها . فإذا نطق ناعق من بعد بأن إعراب أو آخر الكلمات لا داعي له ، وبأن عربية القرون الأولى لغة ميتة لا وجود لها في الحياة ، فسوف يجد هذا الناعق لصوته صدى في عقول ذلك الجيل من الضحايا الذين أقامهم سوء حظهم بين أيدي هؤلاء المعلمين .

هذه واحدة ، أما الأخرى فهي أن هذه البرامج تهدد الدراسات العربية التي يريد المنهج أن يسميها (كلاسيكية) ، لأن بقاءها يصبح مرهونا بأهواء الشباب ، الذي قد تستهويه هذه البدعة ، فينصرف عن دراسة لغة القرآن ولغة الآباء والأجداد ولغة العرب الجامعة لشتاتهم إلى هذه الدراسات التي تحاول أن تربط حاضرتنا ومستقبلنا الأدبي بالغرب في الوقت

الذي تمرن فيه تراثنا الأدبي الخى العريق بالآداب السامية الميثة . آداب السريانية والعبرية . إذ تجعلها جميعا في شعبة واحدة هي (شعبة الدراسات العربية والشرقية القديمة) .

فإذا تركنا برامج الشعبة (الحديثة) إلى السنتين التمهيديتين اللتين يشترك فيهما طلبة الشعبتين ، وتزعم البرامج أنها تزود الطالب فيهما بأركان الدراسات العربية (في مرحلتها الكلاسيكية) وجدنا أن الدراسات العربية لا تظفر فيهما بأكثر من نصف الوقت المحدد للدراسة ، وهو وقت قصير لا يتجاوز مجموعه أربعة عشر درساً في الأسبوع ، يصيب الدراسات العربية منه سبعة دروس أسبوعياً في السنة الأولى وتسعة دروس أسبوعياً في السنة الثانية . إن بعض هذه الدروس التي ضمتها في إحصائي إلى الدراسات العربية يمكن إسقاطها من الحساب : لأن مراجعة المذكرة التفسيرية تبين أن ما يدرس فيها ليس من صميم العلوم العربية . بل هو في بعض الأحيان بعيد عنها . فبين دروس السنة الأولى السبعة مثلاً ثلاثة دروس باسم (اللغة العربية) تنص المذكرة التفسيرية على أنها دروس عامة يشترك فيها طلبة قسم اللغة العربية مع طلبة الأقسام الأخرى في دراسة سطحية تلائم غير المتخصصين ، وبين دروس السنة الثانية التسعة ثلاثة دروس تحت اسم (دراسات لغوية) وضحت المذكرة التفسيرية ما يدرس فيها بقولها : « ويبدأ هنا كذلك دراسة علم اللغة العام General Linguistics في تطوراتها الحديثة مع الإلمام بالمناهج الحديثة في دراسة الظواهر اللغوية - ص ٩٦ » .

ذلك هو ما تتضمنه دراسة الطالب الذي تمنحه الدولة في نهاية هذه السنوات الأربع شهادة تسمى (ليسانس اللغة العربية وآدابها) تجعل لحاملها الحق في مباشرة تعليم اللغة العربية الناشئة من أشبال العرب . فهل ترى أن هذه الدراسة تعده للقيام بهذه الوظيفة وحمل هذه الأمانة ؟

بقي بعد ذلك أن أعود لما بدأت به حديثي حين قلت إن فكرة هذه الشعبة (الحديثة) قد بدأت في برنستون ، فأشير إشارة موجزة إلى مرحلتين سبقتا هذه البرامج تصوران نشأة هذا التوجيه وتطوره . أما المرحلة الأولى فهي تتمثل في الكلمة التي ألقاها مقترح هذه البرامج في مؤتمر الثقافة الإسلامية المعاصرة الذي انعقد بجامعة برنستون الأمريكية في صيف سنة ١٩٥٣ ، وقد جاءت في كتاب (الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة) تحت عنوان (القيم الإسلامية والحياة الأدبية في مصر الحديثة) بين صفحتي ٥٢٧ ، ٥٤٩ وهي كلمة لم يتضمنها تمدي لذلك الكتاب الذي نشر في عددي شعبان ورمضان سنة ١٣٧٦ .

ذكر الأستاذ محمد خلف الله في مقاله ذاك حين عرض لذكر الدراسات النقدية في قسم اللغة العربية بالإسكندرية أنها قد « أثارت - فيما أثارته - معضلة لها نواحيها التطبيقية والتعليمية : تلك هي صلة علوم البلاغة العربية بالنقد الأدبي ، وهل تلك العلوم دراسات لزمان قد انقضى ويجب أن تخلى المكان للنقد الحديث - ص ٥٤٤ » . ثم عرض في ذلك المثال لما سماه (مشكلات اللغة العربية) ، فذكر منها « الصلة بين الفصحى والعامية ، وأثر هذا ازدواج في إضعاف المجهود الفكري للأمة . وهل من المصلحة أن تعم العامية بعد صقلها وترقيتها ، أو يحدث تقارب بين اللغتين ؟ وهل لطريقة الكتابة العربية التي تعبر عن مادة الكلمة لا صورتها أثر في صعوبة اللغة نفسها على متعلميها ؟ وإذا كان ، فكيف السبيل إلى إصلاحها ؟ - ص ٥٤٦ » . وقال بعد ذلك في صدد ما سماه مشكلة الخط العربي « ويبدو من المحتمل أن يقبل الرأي العام اقتراحا للإصلاح يقوم على الاحتفاظ بالطريقة العربية في الكتابة مع إضافة أحرف جديدة للحركات القصيرة ، تدخل بها الحركات في صلب الكلمة على نظام الكتابة الغربية - ص ٥٤٧ » . ووصف هذه المعضلة الموهومة بأنها مشكلة عالمية (!) ، لأن حلها في نظره « يهم العالم كله . ومن الخير أن يتولى بحثها مؤتمر إسلامي عام يشترك فيه الإخصائيون من علماء الغرب - ص ٥٤٧ » . أما ما سماه (مشكلة العامية والفصحى) فقد وصفها تارة بأنها (ازدواج - ص ٥٤٦) ووصفها تارة أخرى بأنها (ثنائية لغوية - ص ٥٤٩) . وزعم أنها « ظاهرة لها مضارها في سير الفكر والتعبير - ص ٥٤٩ » . وكان من مضارها عنده صعوبة الاتصال المباشر بين الغربيين وشعوب العربية (وذلك لما اضطر إليه الغربيون من الاقتصار على تعلم الفصحى واستمداد أساليبها من الكتب - ص ٥٤٩) . ومن عجب أن يراقب صاحب المثال الغرب في كل مقاله حتى يجعل لهذه المراقبة اعتبارا في لغتنا التي هي أخص خصائصنا . ويحاول الكاتب في ختام مقاله أن ياتي ستارا على رأيه الذي يبدو واضحاً في هذه المشاكل المزعومة ، فيقول إنه قد اقتنع منذ مدة « أن السبيل الوحيدة للبلاد العربية والإسلامية هي الحرص على اللغة الفصيحة وتعميمها - ص ٥٤٩ » . ولكن حقيقة أمره لا تلبث أن تتضح حين يتبين للقارئ أن اللغة الفصيحة التي يعنيها هي لغة أخرى معدلة متطورة في رسمها وفي مادتها ، إذ يدعو إلى « استعمالها في شؤون الحياة والفكر ، وإصلاح رسمها بما يسهل ذلك الاستعمال ، وإغنائها بكثير من عناصر الحياة

التي تفيض بها اللغة العامية ، وإخضاعها لما لا يضيع خصائصها الجوهرية من أساليب التطور والتجديد - ص ٥٤٩) .

فهذا المقال يصور مولد الفكرة في برنستون ، وهو المرحلة الأولى في برامج قسم اللغة العربية . أما المرحلة الثانية التي توسطت بين نشأة الفكرة في صيف سنة ٥٣ وبين تنفيذها في البرامج الجديدة بقسم اللغة العربية في العام الدراسي (٥٥ - ٥٦) فهي مسجلة في مقال الأستاذ محمد خلف الله نشره في (مجلة اتحاد كلية الآداب) عن العام الدراسي (٥٤ - ٥٥) ، وهو يصور اختصار الفكرة ، وقد جاء هذا المقال تحت عنوان (ثقافة الإسكندرية الحديثة - ص ١٢ إلى ١٤) ، وفيه يقول ، بعد أن أشار إلى عناية جامعة الإسكندرية بدراسة الفكر العربي الحديث : « وستشهد السنوات القليلة المقبلة مزيد عناية بهذه الدراسة وتوسعاً في ميادينها ، حتى تشمل ظواهر التطور اللغوي والأدبي وتفرع اللهجات في وادي النيل والبلاد العربية ، وسيزداد الاهتمام في هذه الدراسة بالجانب التجريبي من بحوث اللغة ، فينشأ معمل لتسجيل الأصوات وقياسها - ص ١٤ » (١) ، وقد قسم كاتب المقال الفكر الإسلامي والعربي في ختام مقاله هذا إلى (فكر عربي وإسلامي كلاسيكي) و (فكر عربي حديث) ، ودعا إلى « المحاضرة عنه في المعاهد الأوروبية والأمريكية التي تعنى الآن بدراسة هذا الفكر وتعرف اتجاهاته » ، واست أدري إن كان قد سأل نفسه حين كتب هذا الكلام : ما هو سبب هذه العناية الجديدة من جانب أمريكا بتعرف اتجاهات الفكر الإسلامي الحديث ومحاولة توجيهه في اتجاهات معينة ؟ ! .

ولأكتف من المقال بهذا القدر ، ولأتجاوز عما جاء به من اقتراح إنشاء (معهد لدراسات البحر الأبيض) يصبح « كعبة للطلاب الغربيين الذين يفقدون من أوروبا وأمريكا » ، لأن لذلك المعهد المقترح قصة أخرى غير ما نحن فيه ، ولأكتف هنا بأن أقول إن كل حديث عن رابطة البحر الأبيض وحضارة البحر الأبيض ، وشعوب البحر الأبيض لا يراد به إلا صرف الناس عن رابطة العروبة ورابطة الإسلام ، وعند حكومة تونس الراهنة وحكومة لبنان الغابرة الخبر اليقين .

وبعد فلست أحب أن أختم مقالاً هذا قبل أن أنبه القارئ* إلى أن الخطر الذي تنطوي عليه كل هذه الاتجاهات المنحرفة خطر مزدوج . فهو يهدد بقطع ما بين العرب بعضهم البعض

(١) وقد أنشئ هذا المعمل الذي ذكرت في صدر المقال أن طه حسين قد فشل في إنشائه .

الآخر فيتناكر المتعاصرون منهم، ثم إنه يهدد من ناحية أخرى بقطع ما بين العرب - جلة وأفراد - في حاضرهم ومستقبلهم وبين قديمهم، وبينهم وبين مصادر إسلامهم، والخطران كلاهما ماثلان في برامج هذه الشعب الحديثة في الدراسات العربية والإسلامية.

وفي الوقت الذي أنشئت فيه هذه الدراسة في إحدى كليات الآداب كان أنيس فريجة المدرس بالجامعة الأمريكية في بيروت يلتقي محاضرات في الدعوة إلى دراسة اللهجات السوقية وآدابها والدفاع عنها من فوق منبر جامعة الدول العربية (١)، وكان يجمع اللغة العربية في القاهرة مشغولا بدراسة هذه اللهجات، وكان دعاة العامية وأعداء العروبة يتجمعون وينشطون في الترويج لدعوتهم ويمثلون بها الصحف مستغلين اسم الثورة على ما هو معهود من أساليبهم في التضليل وانتهاز الفرص، لابسين ثوب الشعبية والدفاع عن لغة الشعب، حتى أسفرت القومية العربية عن وجهها فأخرست كل ملجلج، وكان بعض الأعضاء الذين شهدوا مؤتمر مجامع اللغة العربية الأول في دمشق يدعو إلى وضع معجم لغوي مستقل لكل إقليم عربي وإلى تبديل قواعد اللغة العربية وتغيير رسمها وإملائها، وكانت هذه الاقتراحات في الوقت نفسه تتخذ طريقها إلى التنفيذ في كتب المطالعة والنحو التي يتداولها تلاميذ المرحلة الابتدائية والمرحلة الإعدادية في مصر.

مركز تحقيق كاتوير علوم راسدي

أي صدقة عجيبة تلك التي ألقت بين هذه الجهود وأصدرت إليها أمرا بالزحف العام في وقت واحد؟ يا لها من صدقة حكيمة عاقلة ١.

الدكتور محمد محمد حسن

أستاذ الأدب العربي الحديث

بجامعة الإسكندرية

[١] راجع « محاضرات في اللهجات وأسلوب دراستها » لأنيس فريجة . نشر معهد الدراسات العربية العليا سنة ١٩٥٥ .

ذكرى ثورة الجزائر

« الكلمة التي ألقاها فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ حسين محمد مخلوف في الاحتفال الذي أقيم تحت إشرافه بدار المركز العام لجمعية الشبان المسلمين يوم ٢١ ربيع الآخر سنة ١٣٧٨ (٢ نوفمبر سنة ١٩٥٨) وخطب فيه الأساتذة الشيخ البشير الإبراهيمي وأحمد توفيق المدني والشيخ أحمد الشرباصي ومحمد مصطفى حمام .. »

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على إمام المجاهدين ، وعلى آله وأصحابه وأتباعه السائرين على سنته إلى يوم الدين .
(وبعد) ففي هذه الليلة الزهراء ، ومن هذا الحفل الرائع ، نبعث بأطيب التحيات والأمانى إلى إخواننا المجاهدين في الجزائر ، وإلى قادة ثورتها المباركة ، ونحني أبلغ تحية رجال حكومتها الأحرار الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه من العمل لتحطيم أغلال الاستعمار المشثوم في قطر الجزائر ، واستمرار الجهاد حتى تعود الجزائر إلى أهلها ، أرضا نقية طاهرة وبلادا عربية إسلامية يتمتع فيها شعبها بحياة حرة كريمة ، ويقم بها على دعائم قوية من الاستقلال والحرية مجدا على الذرى وعزا بناوح السهى . ونهني الجزائر والعالم العربي والإسلامي بقيام هذه الحكومة الشرعية الحرة من خيرة أبناء الجزائر المجاهدين وزعمائها المخلصين ، تحمل الأعباء الجسام ، وتنهض بالمهام العظام . ونهني صديقنا العلامة الكبير والمجاهد العظيم الشيخ محمد البشير الإبراهيمي شيخ علماء الجزائر ببشائر النجاح في تحرير الجزائر من ربة الاستعمار .

إن الشعب الجزائري شعب أبى بفطرته ، بأسل في حرايته . لا يرضى أن يقيم على هضيمة ولا أن يغضى على قذى . وله فوق ذلك من عزة دينه معتصم ، ومن قوة يقينه معتمد . نازل بهذه الأسلحة القوية وهذه القوى المتضاربة عدوا صلفا غشوما جثم على صدره في عقرداره وأذاقه على طول المدى بؤس الحياة ومرارة العيش .

عدا على الأرواح فأزهقها ، وعلى الأموال فاغتصبها . وعلى الحقوق فاستلبها ، وعلى الحريات فوأدها ، وعلى السكرامات فامتنها . فكان من ذلك وقود نار ألهمت الشعور ، وتأججت في الصدور ، فصمم هذا الشعب الأبي أن لا يعيش في وطنه على هوان ، وأن لا يسمح لكرامته أن تذلل وتهان ، وعزم أن يعيش عيشة الأحرار الأعزاء في الوطن العزيز .

حاول بكل الوسائل السلبية أن ينال حقوقه المغصوبة ، فلم تجده نفعا ولم يجد من العدو الباغي إلا صلفا وكبرا وعنادا وبغيا ، فنازله في الميدان .

وإذا لم يكن من الموت بد فمن العجز أن تموت جباناً

نازل عدوه وهو أعزل من كل سلاح ، إلا من عقيدة الإيمان بالله وقوة الحق والقلوب الجياشة بالعزة الإسلامية والمعاني الوطنية السامية . وتلك أسلحة قوية لا تفل وقوى جبارة لا تقهر مهما طال المدى تهون بها الصعاب ، ويستعذب بها الأجاج ، ويقتمحم من ادرع بها سعيير الوغى لا يبالي لجب الجيوش ولا قصف المدافع ولا قذائف الطائرات .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم - حين أمر بالجهاد لإعلاء الحق ومحو الظلم والبغى والقضاء على فتنه الشرك والمشركين - أعزل من كل سلاح وقوة إلا من هذه الأسلحة الماضية ، فجاهد في الله حق جهاده حتى تم له انتميم الميمن والله متم نوره ولو كره الكافرون .

وكذلك شعب الجزائر في حربه ضد الطغاة الغاصبين ، سيكون له الغلب والفوز المبين بتوفيق الله تعالى والعاقبة للمتقين .

إخواني :

إن الجزائر في ثورتها إنما تحامي عن دينها ووطنها وتذود عن أرواحها وحرياتها وتجاهد لاسترداد حقوق مغتصبة ، وللدفاع عن أمانة في عنقها للأجيال المقبلة وتلك فريضة فرضها الله عليها ، ولا تزال الحرب سجالا بينها وبين عدوها الباغي . ولن تلقى السلاح حتى تطهر وطنها من الاستعمار والمستعمرين وتعيش حرة فيه فلا حياة مع الذل والاستعباد .

أدت الجزائر واجبتها وستؤديه كاملا وافية بالدم الغالي مهما كلفها ذلك من الضحايا .
وليس أدل على ذلك من تصميمها على مواصلة الجهاد مع إفناء العدو ونحو مليون من أبناء
البلاد فيهم نساء وأطفال وشيوخ لا يدهم في القتال .

فما هو الواجب شرعا على المسلمين كافة حيال هؤلاء المجاهدين ؟ .

هذا سؤال أشار الرسول صلى الله عليه وسلم إلى جوابه بمثل رائع بليغ في معناه ، بعيد
في مرماه . ضربه تبياناً للناس وتبصرة فقال « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل
الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

هذا أثر الإيمان في النفوس الحية وهذا شأن المؤمنين الأخيار فيما ينوب فرداً أو طائفة
منهم من الأحداث والنوب فما بالكم بما ينوب أمة بأسرها في دينها ووطنها وأرواحها
وأموالها وحرماناتها وكل عزيز لديها من عدولها في دينها ودنياها بمن في بغيه وفساده في ماضيه
وحاضره ومستقبله ؟ ؟ .

أليس التراحم والتعاضد والتعاون والنصرة أوجب وألزم ؟ .

وقد عتد الله تعالى بالإيمان بين أهله آصرة الأخوة الرحيمة فقال إنما المؤمنون إخوة .
وناهيكم بآثارها بين الأخوين ، إنها عطف وتراحم وتعاون في كل أمر ديني ودنيوي .

* * *

وانعقد إجماع المسلمين على أن بلاد الإسلام دار واحدة ، وأهلها جميعا إخوة في الإسلام
لا يفرق بينهم تنائي الديار ولا اختلاف الأجناس ولا الألوان ولا اللغات ، ما دام يجمعهم
التوحيد والقرآن . فيجب على المسلمين كافة في سائر الأقطار معاونة الجزائر في ثورتها على
عدوها الباغي . بكل ما في الاستطاعة من المدد المادي والمعنوي ، حتى تضع الحرب أوزارها
ويتنصر الحق على الباطل ويشفي الله صدور قوم مؤمنين .

* * *

أيها المسلمون :

هذا حكم الإسلام حيال ثورة الجزائر ، وهو حكمه حيال المجاهدين لإنقاذ فلسطين من

بني الصهيونية ، ولاسترداد هذا الوطن الغالي إلى حوزة الإسلام ، وإبقاء المسجد الأقصى في دار إسلام لم يمسها رجس . فادوا واجبكُم حيال الجزائر وفلسطين بقدر ما في استطاعتكم . والجهاد كما يكون بالنفس لمن استطاعه يكون بالمال للتقادرين . ففي الحديث الصحيح من جهز غازيا فقد غزا ويكون بالإمداد بالسلاح السكافي ، وبالرأى ، وبالنصيحة ، وبالحث بوسائله الحاضرة ، ويكون بمقاطعة الأعداء وحصارهم بكل سبيل ، والقعود لهم بكل مرصد . فمن قصر في ذلك أو خذل الناس عنه أو والى الأعداء موالاة تضر جماعة المسلمين أو غش أو خادع فهو آثم إثمًا عظيمًا ، وليس منا ولنسنا منه في دين الله .

ونحن نحمد الله تعالى أجل الحمد وأنما ، إذ تيقظت الشعوب العربية والإسلامية من سباتها ، ونقضت عن أردانها غبار التقاطع والتدابير ، وعار الاستخذاء والذلة ، وموالاة الأعداء المضرة ، وأجمعت أن تناضل عن حقوقها وتطهر أوطانها من رجس الاستعمار ، وتعيش في ديارها قوية عزيزة في ظلال الإسلام والسلام والتعاون والإخاء .

وإننا نبتهل إلى الله تعالى أن يوفق قادة المسلمين عامة لما فيه الخير والصلاح ، وأن يحزى حكومة الجزائر الحرة عن وطنها وعن الإسلام والعرب خير الجزاء ، ويهبها من لدنه توفيقا وتسديدا فيما هي بسبيله من خير وجهاد مشكور . والسلام عليكم ورحمة الله ؟

حسنين محمد مخلوف

مفتي الديار المصرية سابقا وعضو جماعة كبار العلماء

تصويب

وقع في بعض نسخ هذا الجزء أخطاء مطبعية نرجو من القارى تصويبها بالقلم :
في صفحة ٤٠٧ السطر ١١ « كخنية ، صوابها « كخنية » . « فسطاسه ، صوابها « فسطاطه » .

في صفحة ٤٢٥ السطر ١٨ « فأغير حرفا ، صوابها « فما غير حرفا ، .

في صفحة ٤٣١ السطر ١٦ « أبى ذرعة ، صوابها « أبى زرعة ، .

في صفحة ٤٣١ السطر ١٧ « صلى الله ، صوابها « صلى الله عليه وسلم ، .

القائد الأسود

نحن الآن نعيش في القرن العشرين ؛ القرن الذي يسمونه قرن الحضارة والمدنية والنور ؛ ومع ذلك لا يزال الغربيون الذين يدعون أنهم أئمة هذه الحضارة يرتكبون من السيئات والمنكرات ما لا يمكن أن يدخل تحت المعنى الصحيح للحضارة .

ولعل أقبح السيئات التي يأتينا أبناء الغرب في مختلف بقاع الأرض هي تلك التفرقة اللونية والعنصرية التي يثيرون غبارها ويشعلون سعيها بين البيض وغيرهم ، لا شيء إلا لأن الله عز وجل قد خلق بعض الناس ببشرة بيضاء وبعضهم ببشرة سوداء . . .

ومن أجل هذا الاختلاف في اللون نجد البيض الذين يزعمون التقدم والتحضر والرق يذيقون السود ألوان العذاب ، ويسيمونهم أنواع الاضطهاد ؛ مما لا يتفق مع دين إلهي ، ولا أخوة إنسانية ، ولا زمالة بشرية ، ولا عهد تنادى فيه بالعدالة والمساواة . . .

وعنا يشرق نور الإسلام زاهيا رائعا يفيض بآيات الحكمة وينابيع الرحمة ، فإنه لم يقم وزنا لاختلاف الألوان أو الأجناس أو الأنساب أو الأحساب ، بل جعل الناس أمة واحدة من ناحية القيمة الإنسانية والمسكنة البشرية ، وجعلهم سواسية كأسنان المشط في الاستواء ، فلا فضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا لأبيض على أسود ، ولا لأسود على أبيض ، إلا بالتقوى ! ! . . .

وإذا كان الغربيون اليوم يضطهدون السود ويحتقرونهم ، ويطردونهم ويعذبونهم ، ويعتدون عليهم بشتى ألوان الاعتداء ، ويحرمونهم التمتع بالحقوق الطبيعية التي لا يكون الإنسان إنسانا صحيح الإنسانية إلا بها ؛ فإننا نجد التاريخ الإسلامي تتعطر صفحاته بسير رجال كان لونهم أسود ، ولكن الإسلام أعلى شأنهم وأعز مكانتهم ، وقدمهم على غيرهم بفضل جهادهم وعملهم الصالح . . .

ومن هؤلاء : الصحابي البدرى أحد النقباء أبو الوليد عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم الأنصاري الخزرجي المدني ، الذي شهد العقبة الأولى والثانية مع النبي صلوات الله عليه ،

وكان تقيياً في ليلة العقبة على جماعة « القوافل » ، وشهد بدرأً وأحدأً والخندق وبيعة الرضوان وسائر المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واختاره النبي ليكون عاملاً على الصدقات ، كما أن عبادة رضى الله عنه كان يعلم أهل العنقة القرآن الكريم ، وأخى النبي بينه وبين أبي مرثد الغنوى .

ولما فتح المسلمون الشام على عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه أرسل عمر عبادة ومعاذا وأبا الدرداء إلى الشام ليعلموا الناس فيه ويفقهوهم ، وقد أقام عبادة من أجل ذلك زمناً في « حمص » ، ثم سار بعد ذلك إلى فلسطين ، وقد ذكر الإمام الأوزاعي أن عبادة هو أول من ولى قضاء فلسطين .

وقد توفى عبادة في بيت المقدس - وقيل في الرملة - سنة أربع وثلاثين للهجرة عن اثنين وسبعين عاماً ، وقيل توفى سنة خمس وأربعين ، ويرجح النووي القول الأول ويعبر عنه بأنه : أصح وأشهر . . .

وكان عبادة كما يصفه المؤرخون رجلاً فاضلاً خيراً ، وكان أسود اللون ، جميلاً جسيماً طويلاً ، كان طوله عشرة أشبار بمقياس السابقين .

وقد روى عبادة بن الصامت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة وأحدًا وثمانين حديثاً ، اتفق البخارى ومسلم منها على ستة ، وانفرد البخارى بحديثين ، ومسلم بآخرين . وروى عنه أنس وجابر وأبو أمامة وفضالة ورفاعة بن رافع ومحمود بن الربيع ، ومن التابعين أولاده : الوليد وعبيد الله وداود بنو عبادة ، وخلائق غيرهم .

وقد جاء في كتاب « غرابة الإسلام » أن الإمام أحمد ذكر في مسنده عن عبادة بن الصامت أنه قال لرجل من أصحابه : « يوشك إن طالت بك الحياة أن ترى الرجل قد قرأ القرآن على لسان محمد صلى الله عليه وسلم فأعاده وأبداه ، وأحل حلاله وحرم حرامه ، ونزل عند مناله لا يجوز فيكم إلا كما يجوز الحمار الميت » . !

ومعنى يجوز : يسير . والمعنى أن منزلته تكون بين الناس ضائعة ! . . .

وعلى الرغم من سواد عبادة نراه يعلو في مكاته ، ويرتفع في منزله بفضل دينه وخلقه وعمله ؛ ولقد اشترك عبادة مثلاً في الفتح الإسلامي لمصر ، وكان نجمة متألقاً في هذا الفتح ، حتى قاد الوفد الإسلامي الذي توجه لمفاوضة المقوقس ، وفي هذه المفاوضة جرى حديث يتعلق بسواد لون عبادة يتضمن ما يستحق التأمل والتدبر ...

في السنة العشرين كتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص ليتجه إلى مصر ليفتحها باسم الإسلام ، بعد أن طال إلحاح عمرو على الخليفة ليأذن له في الفتح ؛ ومضى عمرو في طريقه حريصاً على إتمام هذا الفتح بأسرع ما يمكن ، حتى بلغ مع الجيش حصن « بابليون » . هناك لقي متاومة ، فاستعان بالخليفة فأمدّه ، ثم استعان به فأمدّه بأربعة آلاف جندي ، لهم أربعة قواد ، كل قائد منهم بألف رجل وهم : عبادة بن الصامت ، والزبير بن العوام ، والمقداد بن الأسود ، ومسيلة بن مخلد ، وقال الخليفة لعمرو : « اعلم أن معك اثني عشر ألفاً وإن تغلب اثنا عشر ألفاً من قلة » !! ...

وحدث أثناء الفتح أن كان عبادة بن الصامت يصلي وهو في ناحية من معسكر المسلمين ، فهجم عليه جماعة من الروم ، فسلم من الصلاة ، ووثب على فرسه ، وهاجمهم ففروا أمامه ، فابعدهم ، فجعلوا يلقون في طريقهم بأمتعتهم ونفائسهم ليشغلوهم بها ، فما التفت إليها ، وما زال يطاردهم حتى اعتصموا منه بالحصن ، فعاد دون أن يلتقط شيئاً من أمتعتهم ، ولما بلغ مكانه استأنف صلاته من جديد !! ...

وقوى ساعد المسلمين بالمدد ، وخاب الذين في مصر من العاقبة ، فأرسلوا إلى عمرو وفداً لمفاوضة ، فعرض عليهم عمرو واحدة من ثلاث : إما أن يدخلوا في الإسلام ليكونوا إخوة للمسلمين ، لهم ما لهم ، وعليهم ما عليهم . وإما أن يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ، ولهم الأمان والدفاع عنهم بقوة المسلمين . وإما القتال حتى تضع الحرب أوزارها ، ويحكم الله بين الفريقين ، والله خير الحاكمين ! ...

وعاد الوفد إلى المقوقس فسألهم : كيف رأيتم المسلمين ؟ قالوا : رأينا قوماً الموت أحب إليهم من الحياة ، والتواضع أحب إليهم من الرفعة ، ليس لأحدهم في الدنيا رغبة ولا نهمة (أي ولوع) .

فأكد المقوقس لقومه أن مثل هؤلاء لو أرادوا إزالة الجبال لأزالوها ، وما يقوى على

قتلهم أحد ، وأشار عليهم بالاستمرار في المفاوضة للصلح . وأرسل المقوقس إلى عمرو يطلب منه إرسال وفد من قبله للتفاوض معه . فأرسل عمرو إلى المقوقس عشرة رجال من الجيش . وعلى رأسهم القائد الأسود ، والبطل المسلم ، عبادة بن الصامت ، ووكّل عمرو إلى عبادة أن يتكلم باسم الوفد ، وأن يكون زعيماً له ، كما أمره ألا يقبل من المقوقس إلا واحدة من الثلاث التي سبق ذكرها .

وتوجه الوفد إلى المقوقس وفي طليعته عبادة بن الصامت ، فلما رآه المقوقس وشاهد سواده هابه وقال :

نحوا عني هذا الأسود ، وقدموا غيره يكلمني !! .

فرد عليه الوفد بأجمعه : إن هذا الأسود أفضلنا رأياً وعلماً ، وهو سيدنا وخيرنا والمقدم علينا ، وإنما نرجع جميعاً إلى قوله ورأيه ، وقد أمره الأمير دوننا بما أمره ، وأمرنا ألا نخالف رأيه وقوله ...

فتعجب المقوقس من ذلك كثيراً ، وقال لهم يسألهم :

كيف رضيتُم أن يكون هذا الأسود أفضلكم ، وإنما ينبغي أن يكون هو دونكم ؟ . فأجابوه بلغة الإسلام الخفيف الذي يسوى بين الناس ، ويعرف لهم أقدارهم بما يقدمونه من عمل وجهاد ، فقالوا :

كلا ، إنه وإن كان أسود كما ترى فإنه من أفضلنا موضعاً ، وأفضلنا سابقة وعقلاً ورأياً وليس ينكر السواد فينا ! .

ولم يجد المقوقس مناصاً من التسليم والرضى بالأمر فقال لعبادة : تقدم يا أسود ، وكلين برفق ، فإنني أهاب سوادك ، وإن اشتد كلامك على ازدادت لك هيبة !! .

واحتمل عبادة ما في كلام الرجل من جفوة ، فغرضه الذي جاء من أجله أهم بكثير من شخصه ، فتقدم من المقوقس وقال له بثبات :

قد سمعت مقاتلك ، وإن فيمن خلفت من أصحابي ألف رجل كلهم مثلي ، وأشد سواي . مني ، وأفظع منظراً ، ولو رأيتهم لكنت أهاب لهم مني ، وأنا قد وليت وأدبر شبابي ؛ وإن مع ذلك بحمد الله ما أهاب مائة رجل من عدوي لو استقبلوني جميعاً ، وكذلك أصحابي .

وذلك إنما رغبنا وهمتنا الجهاد في الله واتباع رضوانه ، وليس غزونا عدواً من حارب الله لرغبة في الدنيا ، ولا حاجة للاستكثار منها ، إلا أن الله عز وجل قد أحل ذلك لنا . وجعل ماغنمنا من ذلك حلالاً ، وما يبالي أحدنا آكان له قناطير من ذهب أم كان لا يملك إلا درهماً ؛ لأن عناية أحدنا من الدنيا أكلة يأكلها يسد بها جوعته ليلته ونهاره ، وشمله يلتحفها ، وإن كان أحدنا لا يملك إلا ذلك كفاه ، وإن كان له قنطار من ذهب أنفقه في طاعة الله تعالى ، واقتصر على هذا الذي بيده ويبلغه ما كان في الدنيا ؛ لأن نعيم الدنيا ليس بنعيم ، ورخاءها ليس برخاء ، إنما النعيم والرخاء في الآخرة .

بذلك أمرنا الله ، وأمرنا به نبينا ، وعهد إلينا ألا تكون همة أحدنا في الدنيا إلا ما يمسك جوعته ، ويستر عورته ، وتكون همته وشغله في رضا ربه ، وجهاد عدوه !! . فلما سمع المقوقس منه ذلك ازداد هيبه له ورهبة منه . فقال لمن حوله : هل سمعتم مثل كلام هذا الرجل قط ؟ لقد هبت منظره وإن قوله لأهيب عندي من منظره ! . . .

وبعد أن نوه المقوقس بقوة المسلمين وغلبتهم التفت إلى عبادة وقال له :

أيها الرجل الصالح ، قد سمعت مقالتك وما ذكرت عنك وعن أصحابك ، ولعمري ما بلغت ما بلغت إلا بما ذكرت ، وما ظهرتم على من ظهرتم عليه إلا لحبهم الدنيا ورغبتهم فيها ، وقد توجه إلينا لقتالكم من جمع الروم مالا يحصى عدده : قوم معروفون بالنجدة والشدّة ، بمن لا يبالي أحدكم من لبي ولا من قاتل ، وإنا لنعلم أنكم لن تقووا عليهم ، ولن تطيقوهم لضعفكم وقتلكم ! . . .

ثم عرض على عبادة أن يأخذ لكل جندي دينارين ، وللأمير عمرو مائة دينار ، وللخليفة ألف دينار . على أن ينصرفوا . فقال له عبادة :

يا هذا ، لا تغرن نفسك ولا أصحابك . أما ما تخوفناه به من جمع الروم وعددهم وكثرتهم وأنا لا تقوى عليهم ، فاعمرى ما هذا بالذي تخوفنا به ، ولا بالذي يكسرنا عما نحن فيه . إن كان ما قلتم حقاً فذلك والله أرغب ما يكون في قتالهم وأشدّ لحرصنا عليهم ؛ لأن ذلك أعذر لنا عند الله إذا قدمنا عليه ، إن قتلنا عن آخرنا كان أمكن لنا من رضوان الله وجنته ؛ وما من شيء أقر لأعيننا ولا أحب إلينا من ذلك .

وإنا منكم حينئذ على إحدى الحسينين : إما أن تعظم لنا بذلك غنيمة الدنيا إن ظفرتنا بكم ، أو غنيمة الآخرة إن ظفرتم بنا ، وإنها لأحب الخصلتين إلينا بعد الاجتهاد منا .

وإن الله عز وجل قال لنا في كتابه : « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين » ، وما منا رجل إلا وهو يدعو ربه صباحا ومساءً أن يرزقه الشهادة ، وألا يرده إلى بلده ولا إلى أرضه ولا إلى أهله وولده ، وليس لأحد منا هم فيما خلفه ، وقد استودع كل واحد منا ربه أهله وولده ، وإنما همنا ما أمامنا .

وأما قولك إنا في ضيق وشدة من معاشنا وحالنا فنحن في أوسع السعة ، لو كانت الدنيا كلها لنا ما أردنا منها لأنفسنا أكثر مما نحن فيه ، فانظر الذي تريده فينبه لنا ، فليس بيننا وبينك خصلة تقبلها منك ولا نجيبك إليها إلا خصلة من ثلاث ، فاخترايتها شئت ، ولا تطمع نفسك في الباطل ، بذلك أمرني الأمير ، وبه أمره أمير المؤمنين . وهو عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبله إلينا :

إما إجابتكم إلى الإسلام الذي هو الدين الذي لا يقبل الله غيره ، وهو دين نبينا وأنبيائه ورسله وملائكته - صلوات الله عليهم - أمرنا الله تعالى أن نقاتل من خالفه ، ورغب عنه حتى يدخل فيه ، فإن فعل كان له مالنا وعليه ما علينا ، وكان أخانا في دين الإسلام .

فإن قبلت ذلك أنت وأصحابك فقد سعدتم في الدنيا والآخرة ، ورجعنا عن قتالكم ، ولم نستحل أداكم ولا التعرض لكم ؛ وإن أبيتم إلا الجزية فأدوا إلينا الجزية عن يد وأتم صاغرون ، نعمناكم على شيء نرضاه نحن وأنتم في كل عام أبدا ما بقيتم ، ونقاتل عنكم من ناوأكم ، أو عرض لكم في شيء من أرضكم ودمائكم وأموالكم ، ونقوم بذلك عنكم ، إذ كنتم في ذمتنا ، وكان لكم به عهد علينا .

وإن أبيتم فليس بيننا وبينكم إلا المحاكمة بالسيف حتى نموت عن آخرنا ، أو نصيب ما نريد منكم . هذا ديننا الذي ندين الله تعالى به ، ولا يجوز لنا فيما بيننا وبينه غيره ، فانظروا لأنفسكم .

وبعد مفاوضات تم الصلح ، وفتحت مصر أبوابها لأضواء الإسلام ، بعد أن تألق نجم القائد الأسود عبادة بن الصامت في هذا الفتح ، وبعد أن أوقع الهيبة والرعدة في قلوب أعدائه ، فسلام عليه في المجاهدين ! ! ! .

أحمد الشر باع

المدرس بالأزهر الشريف

حقائق يذبغي أن تعرف

أولع بعض الناس في الأزهر وغيره بالنيل من كتبنا التي ندرسها في الأزهر ، وأسرفوا في ذلك وعمموا الحكم فلم يستثنوا شيئاً ونعتوها بشئ النعوت ، ولم يقتصروا عليها بل تعدوها إلى مؤلفيها فاعتدوا عليهم ونالوا منهم ظالمين .

لقد رموا تلك الكتب بأنها سيئة الأساليب ، مضطربة العبارات ، نضحت عليها عجمة مؤلفيها فجاءت صوراً لأفكارهم المشوشة ، وعصورهم المظلمة ، تزهق دارسها ومدرسها وتعطي أكثر مما تأخذ من الجهد والوقت . وتطرف أشخاص من هؤلاء فقالوا : إن تلك الكتب عوقت كثيراً من الألسنة والعقول كان يرجى لها أن تكون أكثر رشاداً وسداداً . وأخذ المتحدثون عن الأزهر والزاعمون الغيرة على إصلاحه يرددون هذا القول حتى صار سلوى الكاتبين .

إن التشكك في جدوى تلك الكتب والتقليل من شأنها والدعوة إلى استبدال غيرها بها مما ألف في العصور الإسلامية الأولى قبل أن يستعجم التأليف كما يقولون حديث قديم ، نشأ منذ نشأت الدعوة إلى إصلاح الأزهر : أي منذ أكثر من نصف قرن ، ولعل أبرز من أثاره الإمام محمد عبده . كان الحديث بعده تقليداً له وصدى لحديثه ، وقبل أن نحكم على ما في هذه الدعوة من خطأ أو صواب ونبين مدى ما فيها من خير أو شر - يجب أن نذكر في إجمال خصائص كل صنف من الكتب : أعني الكتب التي ألفت في العصور الإسلامية الأولى ، والكتب التي ألفت بعدها في العصور المتأخرة ، والتي ندرس كثيراً منها في الأزهر الآن .

إن الكتب التي وضعت في العصور الأولى كتب قصد بها مؤلفوها جمع شتات العلوم ، وتقييد أوابدها ، لم يلاحظ فيها ترتيب ولا تبويب ، ولم تلاحظ فيها الموضوعية أعني جمع مسائل الموضوع الواحد تحت عنوان خاص أو في مكان خاص ، كما لم يلاحظ فيها الدقة المنطقية في الحدود والرسوم ولا الدقة في المصطلحات العلمية ، إلا أنها تمتاز بالأسلوب المرسل

الذي يخاله القارىء العادى سهلاً ويراه الباحث للفاهم سهلاً أيضاً ولكنه السهل الممتنع . أما الكتب التى ألفت فى العصور المتأخرة والتى تدرس فى الأزهر فقد تداركت ذلك وعينت بالترتيب العلمى وبالتحديد القواعد وبالموضوعية فى التأليف على نحو ما فسرناها ، كما عينت بضبط المصطلحات ، فأصبحت كتباً دراسية منهجية واضحة الصوى والمعال يسير العالم والمتعلم فيها على هدى واستبصار ، ويستطيع المتعلم فوق ذلك تحصيل ما يريد منها واستذكاره لينتفع به عند الحاجة إليه فى مزالق الامتحان ، وإنا لنضرب الأمثال ببعض تلك الكتب ليرجع إليها من يشاء فى الموازنة والمقارنة ويتبين صدق ما قلناه ، إن أول ما ألف من كتب الأصول هو كتاب الرسالة للإمام الشافعى ، فإذا ما قورنت بكتب المتأخرين من الأصوليين التى تدرس فى الأزهر : كجمع الجوامع أو مسمل الثبوت أو الأسنوى وجدنا البون شاسعاً بين طريقتى التأليف فى ضبط القواعد وتحرير المصطلحات وجمع المناسبات وغير ذلك ، مما تمتاز به كتب المتأخرين ولا شك أن لذلك أثره فى تحصيل العلم واستذكاره وسهولة فهمه وتفهمه . وكذلك الحال إذا ما قارنا بين أول ما ألف من الكتب فى البلاغة وهو دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة للإمام عبد القاهر وبين ما ألف بعدهما من الكتب كالإيضاح وتلخيص المفتاح للقرزوينى فإننا نجد الفروق التى ذكرناها واضحة ، فقواعد البلاغة فى كتابى عبد القاهر مشتتة لا يربطها نظام وليس لحدودها إحكام ويعسر على من يقرأهما أن يظفر بمحصول بلاغى محدود ، ولقد مارسناهما دراسة وتدريساً فما استغنينا بهما ، وتطفلنا على موائد القزوينى فى كتابيه .

ولا تختلف الحال أيضاً فى كتب النحو إذا قارنا بين أول ما ألف من كتبه ككتاب سيبويه ، وما ألف بعده كآلفية ابن مالك وشرحى ابن عقيل والأشمونى عليها فبين هذين النوعين من الكتب من الفروق ما يعمله المدارس الممارس مما يستبين به فضل ابن مالك وشارحيه على النحو وجعله سهل التناول قريباً على الأفهام . والأمر كذلك فى كثير من الفنون .

ولئن كان للتقدمين فضلهم فى وضع العلوم وجمعها وحفظها فقد كان للتأخرين فضلهم فى ضبطها وتحديدتها وتقريبها .

وبهذا الضبط والترتيب أصبحت كتبهم دراسية منهجية تصلح للدراسات المحددة المناهج والأوقات ، والتى تحتم على الطالب استذكار معلومات مقررة عليه أن يعلقها حتى يجليها لوقتها

آخر العام الدراسي ، ولا تصلح كتب المتقدمين لهذه الغاية ، وإنما تصلح للدراسات الحرة التي لا يسأل فيها المدرس عن يفهم وعن لا يفهم وعن ينجح وعن لا ينجح ، أو تصلح للمراجعة عند البحث الراث والوقت الفسيح .

إن الإمام محمد عبده دعا إلى استبدال تلك الكتب بعد أن نضج عقله واستوى تفكيره وحصل من العلوم في كتب المتأخرين ما يستطيع به أن يتفهم كتب المتقدمين ، ويلخص ما شاع فيها من القواعد . ويلخص ما اشتباه من المسائل ، ولم يمارس التدريس في الأزهر نارسة خاضعة للنظم والبرامج بل كانت ممارسة طليقة ليس فيها مسئولية وليس غايها حساب . ولم تكن النظم الدراسية قد استقرت على ما هي عليه الآن ، واقتضت ما اقتضته من تحصيل استذكار ومراجعة وامتحان . أما وقد قضى التطور الإصلاحي في الأزهر أن تكون نظم الدراسة كما هي الآن : فقد أصبح من الحتم أن نستمسك بالكتب الدراسية المقررة حالياً . والتي ثبتت على التجارب والدراسات الواعية أزماناً طويلة ، وكل دعوة إلى استبدالها دعوة قل ما يقال فيها إنها مجازفة غير مضمونة النتائج .

والدعوة إلى استبدال كتب حديثة بها دعوة تستحق النظر والتفكير العميق أيضاً ، وقد يفضى ذلك إلى التنازل عنها أو تأجيلها إلى وقت طويل ، فقد جرب الأزهر بعض تأك الكتب ثم عدل عنها إلى ما كان مقررأ من قبل من الكتب القديمة ، قرر دراسة رسالة التوحيد ثم عدل عنها إلى كتاب الجوهرة ، وقرر صفوة صحيح البخاري في الحديث ثم عدل عنها إلى شرح شرقاوى ، كما عدل عن غيرهما لعدم ملائمتها لأذهان الطلاب وإعدادهم إعداداً منهجياً . وقد عمد بعض المدرسين في الكليات والمعاهد إلى تصنيف مذكرات في بعض العلوم استجابة لدعوات إصلاح الكتب فكانت صورة مصغرة للكتب المقررة ، وما أغنت مذكراتهم وما حمدت مجهوداتهم ، وهم في ذلك معذورون .

ذلك أن للعلوم أساليبها الخاصة ، ومصطلحاتها طابعها الخاص ، وبرغمنا أن نقول إنه ما بع الجمود والصلابة ، وكما أن علوم الطب وللصيدلة والهندسة لغتها ومصطلحاتها ذات شخصية القوية التي تتأني على التطوير وتظل كما هي على الزمن ، فلهذا العلوم الأصول والمنطق والنحو لغتها ومصطلحاتها كذلك وإنها لتفرض وجودها في كل تأليف وفي كل عصر ،

وليس على الأزهر من حرج في أن يحتفظ بكتبه ذات الطابع العلمي الخاص ، كما أنه ليس على غيره من كليات الطب والهندسة وغيرهما أن تحتفظ بكتبها ذات الطابع الخاص أيضا .

إن الدعوة إلى نبذ الكتب الأزهرية واستبدال غيرها بها دعوة ينقصها التمهيد ؛ تنقصها التجربة والنظر الصحيح ، وعلى القائمين بها أن يترشوا ويتدبروا ليفرقوا بين الممكن وغير الممكن ، ولقد مضى على تلك الدعوة أكثر من نصف قرن كما ذكرنا نبه فيه غير واحد من علماء الأزهر ، فكم من هؤلاء استطاع أن يؤلف في علوم الأزهر ما يفضل الكتب التي تدارسها ويحزحها عن مكاتها العلمية . لقد ألف الإمام محمد عبده رسالة في التوحيد كما ألف في التفسير فهل استطاع أن يحقق أحلام الكاتبين في تبسيط هذين العلمين إلى الحد الذي يعنى الدارسين عن التفكير الفاحص والنظر الدقيق ؟ ؟ .

هذه حتماتق ينبغي أن تعلم ولم يدعنا إلى تسجيلها تعصب للقديم ونفور من الجديد ولكن أملت أن علينا المصاحبة القائمة على التجربة والملاحظة ، وليفهمها بروح الإنصاف من يشاء ، وليعتسف بها عن الجادة من يريد ، والله يعلم حسن القصد فيما كتبت ، وهو حسبي ؟

أبو الوفا المراغي

فرنسا في الجزائر

سيرى بخاتنة الضمائر واستعمري شعب الجزائر
سيرى ، وتلك سحبة المستعمرين وكل جائر
وتسابق للوبقات بكل فاجرة وفاجر
وتتمنى بالعالم الحر الذي سن الحرائر
لا بد من يوم أغمر به يحاسب كل سادر
عبد الكريمة الدجيلي

أسرار التكرير في القرآن

ذكرنا في المقال السابق أن هناك خصائص أسلوبية شاعت في القرآن المسكى مرتكزة على أسس نفسية ، وأحوال وجدانية ، تلك الظواهر هي :

التكرير ، والقسم ، والإيجاز ، وافتتاح بعض السور بحروف من أحرف التهجي .
والآن نبدأ في التلام تفصيلا على كل ظاهرة من هذه الظواهر لنبين ما انطوت عليه من أسرار بلاغية ومحاسن بيانية . وهذا - ولاريب - وجه من أوجه الإعجاز القرآني الذي عجز الجن والإنس - وقد تحداهم - أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا .

ولنبداً يبحث أسرار التكرير فنقول :

إن للتكرير في القرآن الكريم مواطن شتى ومظاهر أسلوبية متعددة . ففي قصصه تكرير وفي أنبائه تكرير وفي آيات خاصة تكرير . وسنقتصر بحثنا في هذا المقال على ما جاء من تكرير آيات بذاتها وجمل بعينها كما جاء في سورة الرحمن والمرسلات والقمر وسورة الشعراء ، وكلها سور نزلات في العهد المسكى ، وشيوع هذه الظاهرة إنما وجد فيها لما اقتضته غلظة قریش وإيغالهم في الوثنية وإنكارهم على محمد صلوات الله عليه وشماسهم من دينه . فخاطبهم الله عز وجل بقوارع من الكلام كالصوارم وزواجر من الوعيد كالحم ، وأن يكرر لهم هذا التمرير لتلين قناتهم ويسلس قيادهم ، وأن يردد لهم هذا الزجر ليذكروهم بفواصل الآيات ما تضمنته من العبر وما توحى به من العظات .

فإن التكرير من أهم العوامل لبث الفكر في نفوس الجماعات وإقرارها في قلوبهم إقراراً ينتهي إلى الإيمان بها وقيمة التوكيد بدوام تكرير ألفاظ بعينها يقول جوستاف لوبون في كتابه « روح الاجتماع » « إذا تكرر الشيء رسخ في الأذهان رسوخاً ينتهي بقبوله حقيقة ناصعة » ولقد شنع المستشرقون على هذا الضرب من الأسلوب وعدوه ضعفاً وركه كما جاء في مادة « قرآن » من دائرة المعارف البريطانية حيث ذكر كاتب المقال فقال :

« ليس هناك مهارة أدبية عظيمة واضحة مبنية في التكرير الذي لا لزوم له لنفس كلمات بعينها وجمل بذاتها » .

ولا غرابة في أن تخفى على المستشرقين أسرار هذا التكرير فهم لم يألوه في لغاتهم ولو أألوه لما أدركوه في اللغة العربية ؛ لأن لكل لغة ذوقاً خاصاً لا يمنحه إلا أهلها ومن نشئوا على تذوقها .

فالتكرير من أساليب اللغة العربية التي شاع فيها منذ عهدها القديمة ، لجاء القرآن الكريم على نمط من أساليبهم إلا أنه في صورة معجزة وبلاغة ساحرة .
من الأمثلة على ذلك النوع من التكرير ما جاء في سورة (الرحمن) فقد تكرر في هذه السورة (فبأي آلاء ربك تكذبان) إحدى وثلاثين مرة .

والسر في ذلك هو أن الله تعالى قد عدد في هذه السورة نعماءه وأذكر عباده آلاءه وينبهم إلى قدرته ولطفه بخلقه ثم أتبع ذكر كل منة وصفها بهذه الآية (فبأي آلاء ربك تكذبان) وجعلها وصلة بين كل نعمتين ليمهمهم النعم ويقرروهم بها ، وهذا كقولك للرجل وقد أحسنت إليه دهرك وتابعت عنده أياديك وهو في كل ذلك ينسرك ويكفر بنعمتك فتقول له :

ألم أبوئك منزلاً وأنت طريد ، أفنتكر هذا ؟

ألم أنقذك من هلاكك في حادث الحريق أفنتكر هذا ؟

ولكن ربما يقال : إذا كان هذا واضحاً في الآية التي تدل على النعم في الدنيا كقوله تعالى (مرج البحرين يلتقيان ، بينهما برزخ لا يبغيان) ، (يخرج منها اللؤلؤ والمرجان) .

أو في الآيات التي تدل على النعم في الآخرة من وصف الجنة ونعيمها وفرشها وفواكهها (متكئين على فرش بطائنها من استبرق وجنى الجنة دان) ، (فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان) ، (كأنهن الياقوت والمرجان) . فأى نعمة في قوله تعالى (كل من عليها فان . ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) بل أى نعمة في قوله تعالى (يرسل علينا شواظ من نار ونحاس فلا تنصران) ، (يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام) .
(هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون ، يطوفون بينها وبين حميم آن) .

فللجواب عن ذلك في الآية الأولى وهي (كل من عليها فان) نقول :

إن في هذه الآية التسوية بين الصغير والكبير والمالك والمملوك والظالم والمظلوم في

الفناء المؤدى إلى دار البقاء ومجازاة المحسن والمسيء بحقه من الجزاء ، فالمظلوم يؤخذ حقه من الظالم والظالم يجازى على ظلمه . فلا نعمة إذن أكبر من هذا العدل المطمئن للنفوس المريح للقلوب . وفي هذا نوع من التسلية للمظلومين ، وإدخال العزاء على المهضومين - وما أكثرهم - وفيه نوع ردع للظالم وزجر للطاغية .

ألا ترى إلى قوله تعالى (قل إن ما في السموات والأرض ؟ قل لله كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه) .

فقد أوجب الله على نفسه الرحمة بخلقه ، ومن مقتضى هذه الرحمة أن يجمعهم إلى يوم القيامة ، لأن هذا الجمع لأجل الحساب والجزاء رحمة بالعالم حيث يقضى على الفوضى والإهمال واستباحة الظلم ، والعلم بذلك رحمة أيضا لأنه وازع نفسى لا يتم تهذيب النفس بدونه . فهذا الوعد بالجمع يبعث الطمأنينة ويشيع السلام .

أما الجواب عن السؤال التالى ، وهو أى نعمة فى وصف جهنم وإنذار الثقلين وتخويفهما بشواظ من نار ونحاس ، فنقول :

إن الله تعالى منعم على عباده بنعمتين : نعمة الدنيا ، ونعمة الدين . وأعظمهما هى الأخرى ، واجتهاد الإنسان ورهبته مما . يؤلم أكثر من اجتهاده ورغبته فيما ينعم به عليه ، فالإرهاب زجر على المعاصى وبعث على الطاعات وهو سبب النفع الدائم .

فأية نعمة أكبر إذن من التخويف بالضرر المؤدى إلى أشرف النعم ، فلما جاز عند ذكر الله ما أنعم به علينا فى الدنيا وعند ذكره ما أعدده للطيعين فى الأخرى أن يقول سبحانه فى هذين المتنامين (فبأى آلاء ربكما تكذبان) جاز أن يقول ذلك عند ذكر ما يخفونا به مما يصرفنا عن معصيته إلى طاعته التى تكسبنا نعيم جنته كذلك ، ففعل العقاب وإن لم يكن نعمة فذكره ووصفه والإنذار به من أكبر النعم : لأن فى ذلك زجرا عما يستحق به العقاب وبعثا على ما يستحق من الشراب .

وهكذا الشأن فى جميع التكريرات فإن الباحث لها يجد أسراراً عجيبية وحكماً بلاغية ساحرة تتعلق بموضوع السورة وأهدافها وبعجيب سياقها ومعجز نظمها .

قال الإمام بدر الدين الزركشي في كتابه « البرهان » :

« جاء في سورة المرسلات (ويل يومئذ للكافرين) عشر مرات ؛ وذلك لأنه سبحانه ذكر قصصاً مختلفة ، وأتبع كل قصة بهذا القول فصار كأنه قال عقب كل قصة : ويل للكاذب بهذه القصة ، وكل قصة مخالفة لصاحبها فأثبت الويل لمن كذب بها . »

والتكرير في سورة (المرسلات) كالتكرير في سورة (الرحمن) من حيث إنها تضمنت ذكر نعم مختلفة ، ونعم متعددة فكان إذا ذكرهم بنعمة أو خوفهم من نقمة ، أكد التذكير والتخويف بذكر الويل والهلاك المهيأ للكافرين الذين استخفوا بهذه النعمة . أو تهاونوا بتلك النعمة ، فيكون ذلك رادعاً للمخاطبين عن الغفلة وزاجراً لهم عن التماادي في التكذيب وركوب الرأس في العناد .

وفي هذا التكرير من هز السامع والتأثير في نفسه ، ما لا يخفى على المتأدب المتدق من لغة العرب ، وما فيها من كل معنى عجيب . والمتبجح لأعاجيب القرآن الكريم ، وأساليبه التي فوق طاقة البشر سيجد لكل نمط من التعبير سراً ، ولكل ضرب من البيان حكمة .

عبد الوهاب حمودة

إذا لعن آخر هذه الأمة آخرها

ورد في الأثر من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه : « إذا لعن آخر هذه الأمة أولها ، فمن كان عنده علم فليظهره ، فإن كاتم العلم يومئذ ككاتم ما أنزل الله على محمد . » قال شيخ الإسلام ابن تيمية في خطبة كتابه (منهاج السنة) تعليقاً على هذا الأثر : « وذلك أن أول هذه الأمة هم الذين قاموا بالدين : تصديقاً ، وعاماً ، وعملاً ، وتبليغاً . فالطعن فيهم طعن في الدين ، موجب للإعراض عما بعث الله به النبيين . »

الن اهد القانت

« عامر بن قيس »

الزهد فى الدنيا معنى جليل ، لا يستقيم إلا لكل نفس كبيرة فهو خير معين على التفرغ للعضائم وأقوى محقق لمعانى القوة فى النفس والعقل والبدن ، وأكبر عامل على صفاء القلب ، وإعدادة لتلقى الفيض وصونه مما يتورط فيه الجاهلون من الحقد والغل والحسد ، وأدعى شىء إلى العفاف ، والترفع عن السفساف والدنية ، وإلى عزة النفس والصدع بالحق ، ومقاومة الشر . وعلى الجملة هو كنز النفس العظيمة وميزة الخيرة الأبرار الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما .

فلهذا احتضنه دين الإسلام - وهو الدين المختار لله فى الأرض منذ بعث نبيه محمداً آميا ، مسعداً للناس فى دنياهم قبل آخرتهم - فهو يذم الذين يأكلون ويتمتعون كما تأكل الأنعام . كما يمدح الذين يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، وهو يذم المتفانى فى هواه ويعده عابداً له لا يقدر غيره (أفرايت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة) ! كما يشجع الذين يجاهدون أنفسهم فى سبيله : (والذين جاهدوا فىنا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين) . ثم يدعو النبى صلى الله عليه وسلم بالتعاسة على المتفانى فى جمع الدنيا الحريص عليها الذى يعيش فى مشاكل مع الناس جميعاً ولو كانوا من أقرب الناس إليه من أجل الدنيا فيقول صلى الله عليه وسلم : « تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم . تعس وانتكس . وإذا شيك فلا انتكش » وجمدير بدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم أن تجاب ، وبطلبته أن تتحقق ذلك أن الحريص على الدنيا يضيع دينه ومن ضاع دينه فقد خسر الخمران كله ، فقد طامأ أذل الحرص الأعناق ، وقد طامأ نكس الرؤوس ، واستعبد النفوس . وقد خلق الله الناس أحراراً لا عبادة إلا لله فأبى الشيطان إلا خمرهم ، فعاج بهم عن الصراط ، وحرضهم على التهلك على جمع الحطام ، من الحلال والحرام . فأوقع بعضهم فى بعض ، وحال بينهم وبين البر والخير ، وكان أدنى مراتب الطمع ذلك المعنى

الذي وصفه النبي صلى الله عليه وسلم بأنه أهلك من كان قبلكم وحلهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم ! وهو الشح .

فالزهد إذاً فلسفة إسلامية رفيعة يضعها الإسلام في الصف الأول من مبادئه الكريمة ، ويختص بها الصف الأول من هذه الأمة الوسط في كل جيل وفي كل عصر .

والزهد إذاً ليس كما زعم بعض الجاهلين قبوعاً في كبر بيت . وجوداً أمام كل نشاط أو تجديد أو إصلاح ، وتماوتاً عن كل جليل من الأعمال ، ولكنه أن تريح الناس من مضايقاتك ، وأن تريح نفسك من مضايقات الناس تأخذ الحياة عفواً ، وتجوّد بها فضلاً ، تأخذها في إجمال من الطلب ، وعدم انهماك مضمّن قاتل . تأخذها من غير احتيال يوقع في المكروه ، ويحول دون سماحة للناس أو إحسان إلى من يستحق الإحسان من أمر الله به أن يوصل . تأخذها ثم تعطيها فتضعها في أبواب الخير بعد أن تستوفي رغائبك المشروعة ، تصل القريب والجار والعشير والصاحب والإنسان أياً كان وأينما كان . ما دمت تستطيع أن تمد إليه يداً ، وتقبل له عثرة ، وبذلك تحيا حياة مطمئنة ، وتعيش مهما تعيش سعيداً محبوباً ذلك معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم (ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس) . فأما حب الله إياك فلأنك تستطيع أن تعرف حتمه ، وأن تؤدي واجبه . وأما حب الناس لك فلأنك تكف عنهم أذاك وتدعهم ، وما أعطاهم الله من فضله غير منافس ولا مشاكس .

فما عيب هذا الوصف - ليت شعري - كما يزعم بعض الجاهلين وما جنايته على الإسلام كما يتوهم بعض الحاسدين أو الفارغين لا . إنه لمن محاسن الإسلام ومفاخره ، وإنه لمن أقوى الأدلة على أنه دين الإنسانية الخالد ، وأكبر واضع لمعانى العدل والإحسان والحب والإخاء . ومن حاول أن يرى الإسلام منه من أصدقائه الجاهلين . فتمدّ خاب واقترى وقال على الإسلام زوراً .

ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم سيد الزاهدين وهو خير منظم للإنسانية وأكبر واضع لدعائم العمران والحضارة .

وكانت مدرسته خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله ، فلم يكن فيهم معنى أمثل من الزهد في الدنيا والاتجاه صوب الحقائق وبذل

الهمة نحو كل نافع موجب لمرضاة الله وحب الناس وإن يكون ذلك إلا بهذا الزهد الإسلامي العظيم . والتاريخ يحدثنا عما كان للزاهدين من أثر عظيم في إقامة صروح العدل وتحقيق خلافة الله في الأرض فهذا عمر بن الخطاب وهذا علي بن أبي طالب وهذا عمر بن عبد العزيز وهذا وذلك وغيرهم من المثل العليا لقد كانت أمثل صفاتهم الزهد فيما يتنافس عليه الآخرون .

فعامر بن قيس كان فيما يقال ^(١) أول من عرف بالنسك واشتهر من عباد التابعين بالبصرة وكان واحداً من ثمانية انتهى إليهم الزهد في التابعين والسبعة الباقيون هم : أويس القرني ^(٢) وهرم بن حيان ^(٣) والريبع بن خثيم ^(٤) . ومسروق بن الأجدع ^(٥) والأسود بن يزيد ^(٦) وأبو مسلم الخولاني ^(٧) والحسن بن أبي الحسن البصري ^(٨) .

وقد كان عامر بن قيس من تلامذة أبي موسى الأشعري ومن أخذوا بطريقته وكان أبو موسى يتبعه وهو الذي لقنه القرآن وروى صاحب الحلية أنه كتب إليه في يوم من الأيام : أما بعد فإني عهدتك على أمر وبلغني أنك تغيرت فاتق الله وعد !

وأبو موسى الأشعري كان من خيرة الصحابة ومن تخيرهم عمر بن الخطاب - وهو البصير الناقد - فولاه الكوفة والبصرة ومن قبله استعمله النبي صلى الله عليه وسلم مع معاذ

١ - ذكره أبو نعيم في الحلية ص ٩٤ ج ٢ .

٢ - كان سيد العباد والزهاد في عصره وأمره مشتهر .

٣ - كان إماماً كثير الوعظ والإرشاد للمسلمين وفد على عمر بن الخطاب على الخيل ثم ترك العمل تورعاً وزهداً ولم ينتظر الإذن من عمر .

٤ - الإمام القدوة الكوفي روى عن ابن مسعود وأبي أيوب الأنصاري وروى عنه الشعبي والنخعي مات في خلافة يزيد بن معاوية .

٥ - الإمام أبو عائشة الكوفي وهو ابن أخت عمر بن معد يكرب قال الذهبي كان أعلم بالفتوى من شريح توفي سنة ٦٣ .

٦ - النقيه الزاهد العابد عالم الكوفة وابن أخي عالمها علقمة توفي سنة ٧٥ .

٧ - النقيه العابد الزاهد ريحانة الشام توفي سنة ٦٢ تقريباً .

٨ - الإمام شيخ الإسلام أبو سعيد البصري نشأ بالمدينة في خلافة عثمان فلزم الجهاد والعلم والعمل راجع ترجمته في التراجم الإسلامية لكاتب المقال .

على النبي وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعجب بقراءته ويقول إنه أوتي من مراما من مرامير داود ، وقد ذكره الشعبي في ستة يؤخذ عنهم العلم وهم : عمر وعلي وأبي وابن مسعود وزيد وأبو موسى ، وقال إنه أحد القضاة الأربعة وهم عمر وعلي وزيد وأبو موسى . وقيل إنه لم يكن يفتي في زمن النبي صلى الله عليه وسلم غير عمر وعلي ومعاذ وأبي موسى .

فلا بد أن يكون تلميذه ومريده عامر بن قيس موضوع الحديث اليوم ممن بلغوا في الفقه مبلغا عظيما كريما . ولكن جانب العبادة والزهد غلب عليه ، ومثله ممن كانوا يؤثرون الخمول والعزلة إلا بمقدار ما يوجب الإسلام من إظهار العلم وعدم كتمانهم من غير قصد ، يكتفي بقيام غيره بمهمة نشر العلم وإذاعته أما منزلته في الزهد والعبادة فقد رأيت أنه أحد ثمانية عرفوا بذلك وفاقوا الناس في عهد التابعين الأول فيه ، وقد حكيت عنه أخبار ورويت عنه أقوال تؤيد ذلك وتقرره .

فمن ذلك ما ذكره أبو نعيم من أنه كان يبيت قائما أو يظل صائحا فإذا قيل له إن الجنة تدرك بدون ما تصنع وإن النار تنق بدون ما تضع . قال : لا حتى لا ألوم نفسي ! ومن العجيب ما نقل عنه وهب بن منبه وغيره . قالوا : كان عامر بن قيس من أفضل التابعين وفرض على نفسه كل يوم ألف ركعة يقوم عند طلوع الشمس فلا يزال قائما إلى العصر ثم ينصرف وقد انتفخت ساقاه وقدماه فيقول : يا نفس إنما خلعت للعبادة يا أماراة بالسوء ، فوالله لأعلمن بك عملا حتى لا يأخذ الفراش منك نصيبا ! .

وعن أحمد بن حنبل بسنده إلى الحسن قال : بعث معاوية إلى عبد الله بن عامر أن انظر عامر بن قيس فأحسن إذنه وأكرمه ومره أن يخطب إلى من شاء وأمهه عنه من بيت المال فلما بلغه ذلك قال : أنا في الخطبة دائب . قال : إلى من ؟ قال : إلى من يتقبل مني الفلقة والتمرة ، ثم أقبل على جلسائه فقال : إني سائلكم فأخبروني ، هل منكم من أحد إلا ولأهله في قلبه شعبة ، قالوا : اللهم لا . قال : هل منكم من أحد إلا لولده في قلبه شعبة ، قالوا : اللهم لا ، قال : والذي نفسي بيده لأن تختلف الأسنة في جوانحي أحب إلي من أن أكون هكذا ، أما والله لأجعلن الهم واحدا . فهكذا عاش عامر بلا زوجة ولا ولد تفرغا لله ، وحبا للرب وإيثارا لتوحيد الهم ، والتخلي من الهم ، حتى يعيش في جوار الحب الخالص لمن هو أحق بالحب من كل محبوب ، ومن يجمع لحبيه كل خير وسعادة ولا يتخلي عنه ساعة

مهما يتخل كل حبيب أو صديق ، ومن لا يتغير لصاحبه مهما اختلفت عليه الشئون ، ومن يحسن إلى صاحبه مهما أساء . ومن لا ينتظر مشوية على صالحة ويزيد من يركن إلى جانبه نهما والظافا وإن قصر فيما ينبغي له .

وهكذا عرف الدنيا وحقارتها ومصيرها وهكذا تكون الفلسفة . وهكذا يكون صفاء النفس ، وسلامة النظر . وهكذا تكون الهداية والتوفيق وانظر كيف وجهه الزهد في الدنيا واحتقارها أن ينفذ تعاليم الإسلام ولا يبالي ما يصيبه في الحق فهو يقول ما يراه وإن خالف أمر الخليفة أو الأمير قال في حلبة الأولياء بسنده إلى أحمد بن حنبل بسنده إلى من عاصر عامر بن قيس قال : مر عامر بن عبد الله برجل من أعوان السلطان وهو يجر ذميا والذي يستغيث به ، قال : فأقبل على الذي فقال : أدبت جزيتك قال : نعم . فأقبل عليه ، فقال : ما تريد منه ؟ قال : أذهب به يكسح دار الأمير ، قال : فأقبل عليه ، فقال : تطيب نفسك بهذا له ؟ قال : يشغلني عن ضيعتي ، قال : دعه ، قال : لا أدعه . قال : فوضع كسائه ثم قال : لا تخفر ذمة محمد صلى الله عليه وسلم وأنا حي ، ثم خلصه منه فكان ذلك سلب تسييره (١) .

وبعد فهذا هو الزاهد عامر وهذه حكاية يسيرة كانت فيها عدة أدلة عنه . أولها : أنه كان فقيها دقيقا فهو يسأل الذي هل أدى جزيته حتى يكون في أمان الله وأمان الإسلام له ما لكل مسلم وعليه ما على كل مسلم ، فهو لا يخدم أحدا ولا يعين إنسانا ما لم تطب نفسه بذلك كما أن كل مسلم كذلك لا يكره على خدمة ولا يعمل سخرة . وثانها : أنه يتحرى في تطبيق الأحكام فيسأل كل واحد من الطرفين في أناة وحلم وأدب كريم ثم انتهى الأمر إلى المقاومة ، قاوم المنكر .

ثالثها : أنه أمره أولا بالمعروف فلما لم يأتجر جاهده بيده كما هو الحكمة في التصرف . رابعها : أن الزهد كما قلنا لا ينافي التصريف في الأرض ومداخلة الشئون بالإصلاح والخير فليس هو أن تقول : دع الخلق للخالق كما يزعم من لا يفهم ، ولا أن تقول مالى ولهذا الأمر لا يعنيني ، فشكل مسلم خليفة عن الله يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويعين على الخير ويقاوم البغي . وايس الزهد إذا إلا خلافة صالحة عن الله في الأرض ونشاطاً يزاول المرء به

(١) تسييره : إخراجة وتقيه .

كل معنى فاضل كريم . لقد أصيب عامر من جراء هذا الجهاد فأخرج من بلده وحيل بينه وبين وطنه وما بالى في سبيل ذلك شيئاً .

روى أنه سیر إلى ظهر المربد، فشيعة بعض إخوانه فقال : إني داع فأمنوا . قالوا : دات فقد كئنا انتهی هذا منك . قال : اللهم من وشى بي وكذب علي وأخرجني من مصرى وفرق بيني وبين إخواني . اللهم أكثر ماله وولده وأصح جسمه وأطل عمره . وإذا فهذا الذي يتمناه الناس اليوم لأنفسهم بلاء عند الزاهدين وشرك كثير عند المقربين فالسأل بلاء ، والولد بلاء ، والصحة بلاء ، وإذا طال العمر في هذا البلاء فقد طال عمر المرء وساء عمله . فيا ليت عامراً رحم صاحبه ورثى له ولكن أنطقه الله الذي أنطق كل شيء . ولو شاء لهداكم أجمعين . ولو أردنا أن نستقصي الكثير مما ورد في أخباره وأقواله وما حفظ له من كرامات أكرمه الله سبحانه بها كما أكرم نفسه عن الدنيا لظال المدى ، ولكنا نؤثر أن نورد بعضاً من أقواله لتكون قياساً لكثير من النفوس المؤهلة ، ولا نرجو من وراء ذلك أن نحمل الناس على الزهد الأول ، ولكنا نحاول أن يكف بعض الناس أذاهم عن بعض ، وأن يحملوا في طلب الدنيا يأخذوها برفق ، ولا يأسوا على ما فاتهم ولا يفرحوا بما آتاهم والله لا يحب كل مختال فخور . فمن ذلك قوله : لو كانت الدنيا لي بخدا فيرها ثم أمرني الله تعالى بإخراجها لأخرجتها بطيب نفسي . لا أبالي حين أحببت الله تعالى على أي حال أمسيت وأصبحت منذ عرفت الله لم أخف سواه .

وما يؤثر عنه : من جهل العبد أن يخاف على الناس من ذنوبهم ويأمن هو من ذنوب نفسه . وسأله رجل أن يدعو له فقال : إنك لتسأل من قد عجز عن نفسه وإن أطيع الله ثم ادعه يستجب لك .

ومن كلامه المنفعل العجيب : في الدنيا الهموم والأحزان وفي الآخرة النار والحساب ، فأين الراحة والفرح ؟ . إلهي خلقتني ولم تؤامرني في خلقي . وأسكنتني بلایا الدنيا ثم قلت لي استمسك . فكيف أستمسك إذا لم تمسكني ؟ إلهي ! إنك لتعلم أن لو كانت الدنيا بخدا فيرها لي ثم أنتنميا لجهلتها لك فهب لي نفسي . وهذا كله ضراعة في أدب لا خروج فيه ولكنه استدراار لرحمة الله وإحسانه كقول يوسف عليه السلام : « وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأأكن من الجاهلين » . اللهم فصمتك ورحمتك وتوفيقك وإحسانك ؟

محمود النواوى

الدين... في موقف الدفاع

في ثانيا تحية موجهة إلى شيخ الأزهر الجديد ، ذكر الأستاذ عباس العقاد أن الدين يقف الآن موقف الدفاع ، وأعرب عن ثقته في جدارة الأستاذ الأكبر بهذا المنصب ، في هذا الموقف .

والحق أن الدين عموماً - كما أبان الأستاذ العقاد - يتم في حالة دفاعية : لقد أحدثت (الآلة) تغيراً جذرياً في بناء النفوس والعقول والمجتمعات ، ورافق هذه التحولات الخطيرة الاتجاه الاستعماري الذي جعل الدين في البلاد الشرقية يتعرض لضغط التطور ودفع الغزو في وقت واحد ، وشملت آثار العصر المادي الجديد الديانة المسيحية عند الغرب كما بلغت الإسلام في الشرق . لكن المسيحية الغربية - بمنظوماتها المختلفة ، وإمكاناتها الواسعة - قد تصلبت في الدفاع فظهرت الكتابات المختلفة في هذا الصدد ، وسمى هذا الاتجاه الدفاعي أو الاعتذاري Apologia - لأنه يعتذر لما يرفضه العقل الحديث في شأن الدين هناك . ومن الكتابات الممتعة الموجزة في هذا الاتجاه ما نشرته مؤسسة بليكان Pelican للقسس البريطاني كارپنتر S. C. Carpenter عن المسيحية .

ولا يسوء المسلمين أن يقف دينهم موقف الدفاع ؛ لأنهم يعلمون أنهم يتفنون على أرض ثابتة لا تميد ، ودينهم يعلمهم حرية النفوس والعقول وتناول القضايا بالمنطق والبرهان . بل إن المسلمين يسرهم أن يروا دينهم في موقف دفاع ، وهو مع ذلك حافظ لأصالته وجدارته . وإنها لصارة نافعة ، أن يضعف كيان المسلمين السياسي ، ويتعرض دينهم للهجوم العسكري ؛ فإن الإسلام إذا ثبت في هذه الجولة - وهو بهذا جدير - لسكان في هذا إيدان بتبدد ما شاع عن أن الإسلام إنما انتصر بالقوة وحدها ، وأنه إنما انتصر لأنه واجه أعداء ينخر فيهم الضعف وكتب عليهم الزوال .

ثم إن الإسلام حين ينتصر فكرياً بعد أربعة عشر قرناً من ظهوره ، يقدم بذلك أبلغ دليل على صلاحيته للخلود . وشموله لمختلف الاحتياجات الإنسانية ومنها النزوع إلى الترقى المستمر ، فهو دين تطوري لا يضيق بزمان ولا مكان . ولتناقش - في إيجاز - طابع عصرنا الذي نعيش فيه ، لنرى مدى مسابقة الإسلام لزماننا وبيئتنا .

أول طابع للقرون الأخيرة منذ عصر النهضة الاتجاه إلى التجربة والعكوف على معالجة المادة ، والانصراف عن الروحيات والغيبيات وما إلى ذلك .

غير أن هذه النزعة لم تسلم من رد فعل . . . فالنزعة الرومانتيكية تتجه إلى الخيال والتجريد ، والعلوم الطبيعية قد انتهت بعد النظرية النسبية والأبحاث الذرية إلى إنزال المادة من عليائها ، وهذا ما يشير إليه أبلغ إشارة الأستاذ راندال J. H. Randall في كتابه « تكوين العقل الحديث » حيث يقول : « إذا أشرفنا على آخر القرن التاسع عشر وجدنا أن الذرة بما لها من كتلة ثابتة اعتبرت هي الجوهر الأول ، وأن الحركة التي يعبر عنها بمعادلات علم التحريك اعتبرت هي العملية الأولية . وبالنظر لما حل منذ ذلك الحين بالمفاهيم الأساسية لهذه النظرية الشديدة السبك - المادة والطاقة والأثير - فمن الضروري أن ندرك أن طريقة التحليل الآلي ليست متميزة بحدود هذه النظرة الآلية المادية القديمة . فقد اعتبر علم القرن التاسع عشر بأن حركة المادة هي العملية النهائية والشكل الأخير للطاقة أما الطاقة الدورية فإنها قد أصبحت في هذه الأيام أكثر أساسية من (المادة) . وعلى ذلك فإن علمنا لم يعد اليوم علما (ماديا) إذا أردنا الدقة في التعبير ، وليست لقوانين الحركة الآلية من الشمول بمثل ما لسلوك حقل الإشعاع ، بل قد لا تكون هذه القوانين سوى مجرد شكل خاص للسلوك » .

والإسلام لم يضق بالمادة ولا بالتجربة ولم يختر الحس والمشاهدة ، فهو الذي تدأب آيات كتابه على لفت النظر وإثارة الانتباه إلى مشاهد الكون وآيات الوجود : إلى الأرض والجبال والماء والنبات والحيوان ، وإلى الهواء والفضاء والكواكب والأفلاك ، وإلى الإنسان في جسده وروحه وعقله ونفسه . والإسلام هو الذي حضر الغيبيات والسمعيات في أضيق نطاق ، وكما شدد العلماء في تمحيص الروايات التي تتعرض لهذه الأمور . فالمسلمون لم يشغلهم التفكير في الله عن الاستفادة من نعمه ، والتبصر في خلقه ، والعيش في كونه ، والنظر في نوااميسه ، فهذه الدنيا على فنائها هي حقل نشاط المؤمن ، ومجال اختباره ومعبده للآخرة الذي لا بد منه ، وهو يعبد الله بالعلم بها والعمل فيها ، ومن هنا سجل التاريخ لعلماء المسلمين اتجاهها تجريبيا يغيّر اتجاه الإغريق - وقد حاول الأستاذ جب أن يلمس لهذا سببا في جذور العقلية العربية فرأى « أن انصباب الفكر العربي على الأحداث الإفرادية يرجع علماء المسلمين نحو طرق التجارب العالية فيذهبون إلى أبعد مما ذهب إليه من سبقهم

من اليونان والإسكندرية ، ولا يعيننا التعليل هنا بقدر ما يعيننا التقرير . وهذا هو عملاق الفلسفة الرياضية برتراند رسل يقول في (النظرية العلمية) : « كان العرب أميل إلى التجريب من الإغريق - وبخاصة في الكيمياء ، فقد كانوا يأملون أن يحيلوا المعادن الرخيصة إلى ذهب وأن يكتشفوا حجر الفلاسفة وأن يركبوا إكسير الحياة ، وكان هذا من أسباب إقبالهم على البحوث الكيميائية . وقد حمل العرب تآليل المدنية طوال عصور الظلام ، وإليهم مرجع كثير من الفضل في أن بعض المسيحيين أمثال روجر بيكون قد حصلوا كل المعارف العلمية التي تهيأت للشطر الأخير من العصور الوسطى » .

غير أن الإسلام له قضاياها التي لا يتم الوصول إليها إلا عن طريق العمليات العقلية العليا والمنطق الفكري المجرد ، وهذه قد لا يستطيع التجريديون الذين لا يسلون بغير التجربة أن يسلوها ، لكن هؤلاء أيضا إذا كانوا راغبين في العلم لن يستطيعوا أن يرفضوها . . . وفرق بين عدم الاعتراف بالدين وبين الإلحاد ، وهو فارق دقيق يحسن التنبيه إليه ؛ لأن الملحد لا يأخذ عن تجربة محسوسة بل عن إيمان عكسي ، إيمان بالإلحاد يتدخل فيه القطع بأمور لا تدركها التجربة ويخالطه التحمس لما لا يقوم عليه دليل .

والاتجاه العلمي الآن لا يتجسم على روجه المادة السكيفة كما كان من قبل ، والتجربة نفسها صارت تمارس في مجالات النفس كما كانت تزاوّل في ميادين الطبيعة ، وكل ذلك يجعل موقف الدين ثابتا متينا في موقف الدفاع . وهذا ما يعبر عنه الأستاذ العقاد حيث يقول : « إن المادة اليوم لا تصد المفكرين عن عالم الحقائق المجردة ، ولا هم يتخذون من صلابتها وجسامتها شرطا للحقيقة الثابتة ، فإن الحقيقة المادية نفسها لا تثبت اليوم بمجرد الصلابة والجسامة ، ولا تزال ترتد إلى أصولها حتى تشوّل إلى عدد من الهزات في ميدان مجهول هو ميدان الأثير وميدان الفضاء . فالمادة في القرن العشرين قد اقتربت من عالم الفكر المجرد بل دخلته وأصبحت في تقدير الثقات (عملية رياضية) أو نسبة من النسب التي تقاس بمعادلات الحساب . وقد جاز لعالم كبير كالسير جيمس جنتر أن يعتبرها كذلك وأن يقول « إن المعرفة الجديدة تضطرنا إلى تنقيح خواطرنّا العجلى التي أوحى إلينا أننا وقعنا في كون لا يحفل بالحياة أو لعله يعمل على مناصبتها العداوة ، ويلوح لنا أن الشائبة العميقة التي تقول بالعقل والمادة ويرجع إليها افتراض العداوة المزعومة آخذة في الزوال ؛ لأن المادة الجوهرية تحيل نفسها إلى شيء من خلق العقل ومظهر من مظاهره ، ونحن نستكشف أن الكون يبدى الدليل

على قدرة مدبرة أو مسيطرة لديها العقل ، وجاز كذلك لعالم آخر كبير كالسير آرثر إدنجتون أن يقول : « إن نظرات المتصوفة لا تهمل وإن ملكت الإنسان التي يمازجها الشعور الديني هي من وقائع السكون إذا كان الإنسان قد استبتهأها بفعل الانتخاب الطبيعي وهو من أهم العوامل الكونية » ومن هنا يحق لنا أن نطمئن إلى موقف الإسلام في عصرنا .

إن هذا العصر الذي أعلى من قيمة العقل عموماً وعكف على المائدة والتجربة بصفة خاصة يفسح المجال لهذا الدين الذي وصفه البروفسور مونتغي بما ينقله عنه توماس أرنولد قائلاً « الإسلام في جوهره دين عقلي بأوسع معاني هذه الكلمة من الوجهتين الاشتقاقية والتاريخية ، فإن تعريف الأسلوب العقلي Rationalism بأنه طريقة تقييم العقائد الدينية على أسس من المبادئ المستمدة من العقل والمنطق - ينطبق على الإسلام تمام الانطباق . والحق أن محمداً الذي كان متحمساً لدينه كما كان كذلك يمتلك غيره الإيمان ونار الاقتناع - تلك الصفة القيمة التي بثها كثيراً من أتباعه - قد عرض حركته الإصلاحية على أنها وحى وإلهام ، على أن هذا النوع من الوحي ليس إلا صورة من العرض والتفسير ، وإن لدينه كل العلامات التي تدل على أنه مجموعة من العقائد قامت على أساس المنطق والعقل .. وإن بساطة هذه التعاليم ووضوحها لهى على وجه التحقيق من أظهر القوى الفعالة في الدين وفي نشاط الدعوة إلى الإسلام .

والطابع الثاني لعصرنا الذي نعيش فيه أنه عصر الديمقراطية والاشتراكية . وجوهر الديمقراطية والاشتراكية أن البشر متساوون متكافلون في حقوق السلطنة والمعاشر ، لا يستعلي أحدهم على الآخر بحسب أو نسب ، بطبقة أو رتبة . والإسلام الذي قام على صلة العبد المباشرة بربه ، قد أقام المساواة بين الناس ، فهم جميعاً عباد الله ، لا يستعلي عليهم إلا العزيز القهار .

وكيف يضيق الفكر الإسلامى بالديمقراطية أو الاشتراكية ، وهو قد قام على أصول الحرية في مناهج الجدلية العقائدية والأصولية الفقهية . ولقد ركزت الأبصار وسلطت الأنوار على آيات القرآن « وشاورهم في الأمر » ، « وأمرهم شورى بينهم » ، « وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » ، « كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم » ... وعرضت في هذا الضوء أحاديث الرسول « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » ، « إنما الطاعة في المعروف »^(١) ،

[١] روايات مختلفة للبغارى ومسلم وأبي داود والنسائى وأحمد والحاكم في المستدرک .

« المسلمون شركاء في ثلاثة : في الماء والكلاء والنار » (١)، « من ولى لنا عملاً وليس له منزل فليتخذ منزلاً ، أو ليست له زوجة فليتزوج ، أو ليس له خادم فليتخذ خادماً ، أو ليست له دابة فليتخذ دابة » (٢) ، « أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم فمن توفى من المؤمنين فترك ديناً فعلى قضاؤه ، ومن ترك مالا فهو لورثته » (٣) . ومن هنا يقف الإسلام لا يتزلزل أمام صيحات العدالة الاجتماعية والسياسية . . . ومن قتهائه من قرر في صوح أن فرضاً على صاحب الطعام إطعام الجائع ، وأن على المجتمع أن يكفل للفرد حاجته من الثوب والملبس والسكن الذي يقيه من الحر والبرد والمطر وعيون المارة ، وأن صاحب الأرض ينبغي أن يفلحها ويزرعها بجهده المباشر ، أما إن أعطاها لمن يستغلها فهي منحة ولا يجوز الإيجار . . . والذي قرر هذا عاش في القرن الخامس الهجري ، وهو الإمام الأندلسي المجتهد الحجة أبو محمد علي بن حزم .

ثم إن عصرنا عصر (علم النفس) - هذا هو طابعه الثالث ، فقد أرقق الناس صراهم من أجل القوت واحتشادهم في المصانع والجامع واضطرابهم أمام المطامح والمطامح وانفعالهم من أزمات المسادة والروح وصداعهم من ضجيج الآلة واحتياجهم إلى تدعيم الأسرة وشغل الفراغ وتنديدة الروح . . . وفي هذا القلق والألم والفرع ظهرت أبحاث النفس تحاول أن تسد الثغرة الروحية في الحضارة المادية ولكن على أساس تجريبي .

والإسلام حين ربط الناس بالله لم ياهمهم عن النفس الإنسانية ومشكلاتها . . . إنه دعاهم لعبادة الله لتطمن نفوسهم هم لا يتمجد الله بالتسبيح والحمد والثناء ، فما أغناه عن طاعة الطائعين « الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ، ألا بذكر الله تطمئن القلوب » ، والإسلام جعل معرفة النفس من معرفة الرب « وفي أنفسكم أفلا تبصرون » .

ولم يحتقر الإسلام دوافع الحياة النفسية ، وإن يعلن معركة بين الإيمان والواقع الحيوي . المال والبنون زينة الحياة الدنيا ، والطعام والشراب مطالب ضرورية ، والسعي في طاب الرزق جهاد مبرور . ثم إن الحاجة الجنسية فطرة الله الذي خلق للناس من أنفسهم أزواجا ليسكنوا إليها وجعل بينهم مودة ورحمة ، وهي حاجة إنسانية ونعمة إلهية لا يذبح أن تتعارض مع تسمى الواجبات الدينية « أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم ،

[١] أحمد وأبو داود - حسنه السيوطي .

[٢] رواد أحمد .

[٣] أحمد والبخاري ومسلم والنسائي والترمذي وابن ماجه .

من لباس لكم وأتم لباس لمن ، علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم ، فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم ، وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، ثم أتموا الصيام إلى الليل ، وهل ينسى قراء الفقه الإسلامي ما يرد فيه من أحكام الطهارة التي تتعرض للإمناء والحيض ، وأحكام النكاح إلى غير ذلك من الأحكام ، يثرحها الفقهاء ؛ لأن المعرفة لا يحجبها الحياء ؟ ؟

وأخيراً فإن لعصرنا طابعاً عملياً هو السرعة ... السرعة التي دفعتنا بها الآلة إلى الأمام تطوى لنا الزمن ، فلا نمضي الوقت في التنقل من مكان إلى مكان ، أو في صناعة أو عمل ، والآلة بطاقتها الرهيبة الجبارة سرعان ما تفعل هذا وذاك من الأعمال .

والآلة تغلغل في البيت في مطابخه ومرافقه ، وإلى الشارع والمدرسة ، وإلى الدكان والمصنع . . . وأصبحت الحركة الوامضة الخاطئة هي طابع الحضارة الصناعية .

والإسلام الذي يدعو إلى العلم والعمل ، ويمجد الحركة والنشاط ، يبارك هذا الطابع ولا يضجر منه .

والإسلام لا يربك الناس بالطقة وس والأوراد التي لاتدع وقنا لشيء ، أو لاتدع حضارتنا المريعة لنا وقتنا . إن شعائر الإسلام خمس صلوات خفيفة لطيفة ، لا تستغرق دقائق معدودات ، ويغنى فيها الجمع والقصر عند السفر ، ووضوؤها نظافة ويغنى عنه التيمم عند وجود العذر . والصيام شهر في العام ، الإمساك فيه من الشروق للغروب فحسب ، والتعجيل بالفطر وتأخير السجور فيه سنة ، ويعنى منه المسافر والمريض ، والحج رحلة مرة في العمر . وكل هذه الشعائر طابعها التيسير ورفع الحرج .

إن الإسلام يفسح المجال للمسلم لكي يذكر الله في أعماله كلها : في البيت والشارع والمصنع والمنجم ، في أجواز الفضاء وأغوار الماء . . . ولكنه ذكر يدعو إلى التعبد بالعمل ومراقبة الله في معاملة الناس . وابتغاء الآخرة في طلب الدنيا . فورد المؤمن في القلب ، وتدينه بتنفيذ هدى دينه في سائر نشاطه اليومي ، والدنيا كلها معبده ومحرابه .

ديننا إذن في موقف الدفاع وهو يستطيع الثبات في موقفه ويستطيع أن يكرر معجزاته بأسلوب جديد .

والحضارة المادية الصناعية لم تستطع القضاء على جذور الدين في أعماق النفس في أي مكان من أمريكا أو أوروبا ، وكل من يزور البلاد الغربية يعرف مكان الدين في ضمير الفرد مهما انحسر مداه وضحل غوره .

والإسلام - من ناحية الواقع التطبيقي - لم يفقد طاقته الانتشارية حتى بعد المحن والخطوب المتلاحقة .

يقول الصحفي الأمريكي جون جنتر Gunther في كتابه (داخل إفريقيا) بعد أن عرض لبساطة العقيدة الإسلامية « ... هذا واحد من الأسباب التي تملل : لماذا خط الإسلام مسالكه الكبرى في قلب إفريقيا المداصرة . فعدد المسلمين يكاد يتضمن ثلث مجموع سكان القارة اليوم ، وهم يزدادون عددا طوال الوقت وليس في الإسلام تمييز عنصري ، ومن ثم لا يقوم حاجز يمنع تحول البانتو أو الزنوج إلى رحابه ، ولقد انتشر انتشاراً شاملاً عميقاً بين عباد الأوثان والحيوان ؛ لأن شعائره مبسطة للغاية بتقدير مافيه من جاذبية أصيلة رائعة ونقطة أخرى : إن الإسلام نظام اجتماعي كما هو دين - نظام اجتماعي يمنح المؤمن اعتقاده بالمساواة مع جميع المؤمنين الآخرين . وكثيراً ما يوصف الإسلام بأنه الأكثر ديمقراطية بين دانات العالم » .

ولقد صور الدكتور محمد البهي موقف الإسلام الدفاعي تصوير المؤمن العالم الواقعي « الإسلام من حيث هو مبادئ لا يتوقف اعتباره على مكان معين ولا على جيل من البشر . وكما ذكر (إقبال) الإسلام بما اشتمل عليه من مبدأ (الحركة) يعيش مع الإنسان المتحرك وفي العالم المتغير المتطور فهو لا يؤزم بالصليبية ولا بالمساركية إذ طالما كانت له طبيعة الموجود الخالد . فلا يضار بالهجوم عليه من هنا أو هناك لأنه عندئذ لا يقبل الفناء . نفوذ الإسلام في رسالته ، ورسالته (التوازن) - التوازن في قيادة الفرد لنفسه . والتوازن في علاقة أفراد الأسرة الواحدة بعضهم ببعض ، والتوازن في علاقة الأفراد جميعاً ما بين جار قريب وبعيد وما بين حاكم ومحكومين » .

واسكى تحول هذه الحقيقة الكامنة في الإسلام إلى دعوة منطلقة متميزة واعية في واقع المسلمين يحتاج - كما أشار الدكتور البهي - إل جهود على رأسها جهود الأزهر حين يصير بجهود المنفصلين ، ذا رسالة إيجابية في تهيئة المجال الحيوي لمصر في إفريقيا الإسلامية ، وفي مقابلة الاستعمار الغربي . وفي الإسهام في حل مشاكل الشعوب الإسلامية : الاجتماعية والاقتصادية »

حقيق الله الآمال ، وأعان على تبعات الحق شيخ الأزهر الجديد .

فتحي عثمان

الفرقان المنزل وأثره في الأدب العربي

مما لا مرأ فيه أن عوارض الوهن والانحلال تأصلت أسبابها بآدى ذى بدء في العقائد الدينية في بلاد العرب زمن الجاهلية يوم كانوا على تخاذل وتناحر واقتراق ، وظهر ذلك بأجلى مظاهره فيما خلفوه من التراث الأدبي في الشعر والنثر ، إلا في مكة فقد كانت أبداً أهم المراكز الدينية ، ولم تتأثر قيمة الأماكن المقدسة ولا انطمست فيها المعالم الدينية ، غير أن سكان هذا البلد كان أكبر أمانهم ما يجنونه من الريح من وراء إفاضة الأحفل ، أى أن الناحية الدينية كانت في تقديرهم في المرتبة الثانية ، حتى ظهر محمد خاتم الأنبياء ، وجاءهم بوحي من الله فتآخوا بعد التخاذل ، وتآلفوا بعد التفرق ، فبث بينهم تعاليم رشيدة قيمة ألقت بين أغراضهم التي شربوا عليها وبين مرامي الحياة العليا الفاضلة ، فعرفوا الحياة الإنسان قيمتها على الوجه الأكمل ، الذي يعين على أن يجمع لعربي المسلم بين حياتين : حياة الزاد وحياة المعاد ، بل بين حياتين : حياة عاجلة فاضلة وحياة آجلة مثالية كاملة .

لقد حث الفرقان المنزل بآياته المحكمات على القراءة والتعلم ، فقل شبح الأمية رويداً رويداً ، ومن هذه الناحية قصر مسافة الخلف بين العرب وبينهم المزيد من تفاهمهم ، فانبثقت آثار الجاهلية الغشماء ، وظهر أثر ذلك جلياً في الأدب العربي في ذلك العصر وما تلاه من عصور متعاقبة ، وظهر لهم على أثر ذلك أبحاث ممتعة وأفكار خالدة استضاء بنورها العالم طويلاً ، ولا زالت حتى الآن ذخراً هاماً يرجع إليه في كثير من العلوم والمعارف .

وقد عني أبلغ العناية ربه كبير من جلة الصحابة باستظهار القرآن الكريم ، كما عمل خلفاء الرسول الأعظم على جمعه وترتيبه جمعاً كان له أبلغ الأثر في الاحتفاظ بهذا التراث العظيم الذي بقي للمسلمين سراجاً وهاجاً ومصابيحاً مبيناً حتى يرت الله الأرض ومن عليها وموخي الوارثين .

يتبين مما تقدم أثر الفرقان في الأدب العربي من ناحية روعته واتساقه وقوة بيانه وبلوغه أوج السكال ، وأظهر ما ظهر في ألفاظهم وتراكيبهم شعرهم الرصين وأدبهم النقي ، حسب القارى أن يعلم مما عثرنا عليه في آراء الفلاسفة من الإنكليز والألمان والفرنسيين مترجماً إلى اللغة العربية أن الأدب العربي لا يدانيه أدب في أية لغة من لغات سكان هذه الرقعة السوداء .

كان صلى الله عليه وسلم ليست له نزعة إلى الشعر ، وكان لا يميل إلى الشعراء في بادئ الأمر ، فلما استقر لرسول الله الأمر في المدينة اتخذ له من الشعراء أعواناً للرد على شعراء وفود قبائل العرب الذين كانوا يقدون إليه مدعين لحقه الذي علا سلطانه فوق كل سلطان ، وأول من اتخذ رسول الله من الشعراء حسان بن ثابت من قبيلة الخزرج ، وكان قد بدأ حياته بصناعة الشعر واتخذها مورداً لرزقه في بلاط أمراء الحيرة (١) ودمشق ، فلما بلغه تألق نجم النبي في يثرب ذهب إليه طمعا ونصب نفسه وموهبته الشعرية للدفاع عنه ، فأجزل له رسول الله الأعطيات ، وقد عمر طويلاً بعد النبي وتوفي سنة ٤٥ هـ وقد بلغت أشعاره درجة عظيمة من السمو المعنوي وجزالة التراكيب ، وكانت عبارته اللغوية سهلة في غير كلفة كما كانت سهلة الأداء على الأجيال المتأخرة ، وذلك ما حذرهم على الإشادة بفضلته والتغني بحليل آثاره .

واشتهر من الشعراء بعد حسان بن ثابت في هذا العهد اثنان من فطاحل شعراء العرب ، هما الأعشى وكعب بن زهير ، ولكل منهما شعر بديع في مدح النبي ، ولو أن أولهما مات ولم يدخل في الإسلام .

ولكنه لم يعتنق المسيحية ، فلما بلغته دعوة النبي صلى الله عليه وسلم نظم قصيدة في مدحه جمعت نحاس فنون اللغة وحازت إعجاب العلماء أعدة قرون ، ولو أنها لم تبلغ من الشهرة والذوب ما بلغته قصائد حسان بن ثابت .

وأما كعب بن زهير فهو سليل أسرة عرفت بالشعر منذ القدم من قبيلة مزينة ، وتجلت فيه الروح الشعرية القديمة بأجلى مظاهرها ، ففاق سابقيه في الشعر من حيث الطلاوة والرواق ، وكان في أول أمره لا يميل إلى الإسلام لتقييده حريات الجاهلية الجارفة ، فلما رأى أخاه بجيراً قد دخل في الإسلام نظم فيه قصيدة ملؤها السخرية والتهكم الجارح ، فأغضب ذلك رسول الله فأحدر دمه ، فاضطهده المؤمنون في كل ناحية إلا أنه تمكن أخيراً من الوصول إلى رسول الله وألقى بين يديه قصيدة عصماء مطلعها (بانت سعاد) جمع فيها أساليب الشعر معنى وأجزلها لفظاً ، فرضى عنه الرسول وصفح عنه ، ودخل في دين الله .

وأشهر شعراء العرب في عهد النبي الأديب والروح العربية القديمة بشكلها النبيل ، فبرز به ولما استقر الأمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم

بلا شك لبيد بن ربيعة فقد تمثلت فيه عصره وامتاز عليهم جميعاً .

في المدينة وبلغته رسائله جاء على رأس

[١] المجلة : امتدح حسان آل جفنة .

وقد من قبيته لإظهار خضوعهم ودخولهم في الإسلام ، ثم مات أخوه بصاعقة ، فظلم فيه مراثيات
هي آية الآيات في الروعة والجمال ، وأقام أخيراً بالمدينة فلم يرحبها إلى الكوفة إلا في عهد خلافة
عمر ، وعاش طويلاً ، قيل إنه مات في أول خلافة معاوية بن أبي سفيان حوالي سنة ٤٠ هـ .
وكانت توضع منظوماته في المكان الأول بين شعراء العرب وليس أدل على ذلك من أن
إحدى قصائده وضعت ضمن المعلقات السبع .

وقد اشتهرت المراثي بين منظومات العرب منذ القدم شهرة عظيمة فوضع فيها أكثر
شعراء العرب آيات خالدة غاية في الجمال والروعة وامتاز عهد النبي في هذا الضرب من الشعر
بظهور اثنين من فطاحل الشعراء ولكل منهما مراثيات من أبدع ما نظمته العرب وهما متمم
ابن نويرة والخنساء .

وظهر كذلك من الشعراء عدد غير قليل أثناء الغزوات والفتوحات الإسلامية في عهد
النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين ، على أن هذا العصر كمغيره من عصور الحروب
على العموم لم يكن في صالح الشعر والأدب العربي ، وأن أثره في تاريخ العرب السياسي كبير
إلى أبعد حد ، إذ تمكن العرب بدافع تحمسهم لدين الله في وقت قصير من زلزلة الإمبراطورية
الرومانية الشرقية ، وإخراجها من الشام ومنمتلكاتها الإفريقية ، وتفويض المملكة الفارسية .
ومن شعراء عصر الغزوات المعتمدين أبو مخنف من قبيلة ثقيف ، وكان قد اشترك في
الدفاع عن مدينة الطائف ضد المسلمين الفاتحين ، ودخل هو واعتيرته بعد ذلك بمن قصير في
الدين الإسلامي ، ولكنه بقي على كثير من عاداته القديمة فاستخدم موهبته الشعرية في سدح الخمر
التي حرمها الإسلام ، واشترك في حروب الفتوحات الإسلامية في الشمال ، وامتاز ببلائه في
موقعة القادسية ضد الفرس ، فنفرت له شجاعته وتوبته ما تقدم من ذنبه وتوفي سنة ٦٠ هـ بالهجرة .
واشتهر بعده أبو ذؤيب ، وامتاز عنه بشخصيته البارزة ، وموهبته الشعرية القوية ،
ويعد أشهر الشعراء الهذليين ، واشترك في غزوات الفتوحات الإسلامية وجاء إلى إفريقية
عام ٢٣ هـ فمات أولاده الخمسة في مصر بمصر بطاعون ، فرائهم بمراثية رائعة وتوفي وهو
في طريقه إلى المدينة بصحبة عبداً زبير وكانا يقصدان الخليفة ليخبرا به نبأ
غزوة قرطاجنة .

وأما الشعر الهجائي فكان ذا نغمة قديمة ، وكثيراً ما استخدم في الجاهلية في
نزعات القبائل المختلفة إلى أن انحط وي

شعراء المهجاء في هذا العهد الخطيئة ، وكان يحجب بلاد العرب متذعرا الناس لإرهابهم والنيل منهم ، ولولا الحزازات بين قبائل العرب وتحامل بعضهم على بعض لما حفظ شيء من هذا الشعر .

هذه خلاصة مفيدة عن الشعراء الذين تأثروا بأداب القرآن الكريم ، ونسجوا على نهج رفيع من الأساليب العربية في الشعر والنثر ، بعد أن خلع عليهم كتاب الله وفرقائه المنزل أبدع ما عرفت اللغات من أنواع الأساليب والمبتكرات ، وقد ظل القرآن الكريم تراثا للمسلمين يرثه الخلف عن السلف حتى يأتي أمر الله ويتحقق موعوده يوم الساعة : « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » .

عباس طه

المحمي

مجلة الزمن

لعبد الفتاح أبو مدين

ضمن ما نشر في هذا الباب نشرت مجلة الأضواء بجدة الكلمة الآتية :

الشيخ شلتوت

ولى الأستاذ الأكبر الشيخ شلتوت مشيخة الجامع الأزهر . والشيخ شلتوت قين بهذا المنصب الكبير وجدير بأن يتولى أمور هذه الجامعة الكبرى التي تؤدي رسالة العلم منذ قرون طويلة ، وقد خرجت كبار العلماء من بين أروقتها ، وهم الذين يؤدون رسالة العلم في فسحات الأزهر ، وفضيلة الشيخ الجديد عالم ومن كبار العلماء المشرعين ، ومن الذين لا يترمتون ، فهو عالم عصرى ، ومشرع كبير ، تلبس هذا في أحاديثه التي يذيعها كل جمعة من إذاعة مصر ، وفيما يكتبه في الصحف ، وفي الفتوى التي يصدرها عن سؤال يوجه إليه في شئون الدين ، وهو على تقدمه في السن نشط يفيض حيوية وقوة ، ويرجع هذا على ما أعتد إلى قوة إيمانه العميق ، وإخلاصه في أداء رسالته ، وخدمته لدينه وللشعوب الإسلامية بتشريعاته .

فتحية للرجل العالم الجليل وتهنئة بهذا المنصب السامق الذى يدين له الإسلام بفضل التشريع والهدى . تحية للأجداد العاملين ؟

رسالة الأزهر

- ٥ -

(رسالة الأدب)

أقرر اليوم أمرين لا غنى لي عن ذكرهما في هذا الحديث الذي أختتم به رسالة الأزهر الأدبية .

أولهما : أنني لم أعرض في كلماتي السابقة لأديب من غير أدباء الأزهر . ورضيت أن أسير في هذه السبيل الضيقة - سبيل قصر الحديث على أدباء الأزهر - ذلك لأن المعروف عند غير الباحثين أن الأزهر بطبيعة ما يدرس فيه من العلوم - بعيد عن أدب الدرس ، لأن الأدب ترف نفسي يعطل رسالة الأزهر الدينية وما نستلزمه من دراسة قواعد اللغة العربية بأنواعها ، والرسالة الدينية هي أساس الأزهر .

فأردت أن أنفي عن الأزهر في تاريخه الطويل هذه القالة بما أسلفت من كلمات . وما ذكرت فيها من أسماء أعلام في الأدب إلى جانب أنهم أكبر من أعلام في العلوم الدينية وما يدور حولها من علوم ، وبذلك يكونون قد جمعوا بين الحسينيين : العلم والأدب . وهم وإن كانوا قلة في تاريخ الأزهر إلا أنهم قد حتموا له رسالة أدبية شاركوا فيها أدباء عصورهم منذ كان الأزهر أزهرأ .

أما الأمر الثاني : فهو أن دراسة كتب الأدب إما أن تخرج كاتباً أو شاعراً مثلاً رأي ابن خلدون من أن المقصود من درس الأدب هو ثمرته . وهي الإفادة في فني المنشور والمنظوم . وإما ألا تخرج واحداً منهما . وهذا التخريج عندي يرجع إلى التوفر على المأسكة الأدبية أكثر مما يرجع إلى الإكثار من الاطلاع والدرس ، فصاحب المأسكة الأدبية تواتيه مأسكته بالشعر أو النثر بأيسر اطلاع وأقل دراسة ، وهذا النوع أسميه الأدباء الفعليين أما النوع الثاني : الذي قد يقتضي أكثر حياته في الدرس والقراءة بل والتأليف أيضاً - ثم هو مخلو من المأسكة الأدبية . فهو غير ميسر لأيهما - فذلك هو العالم باللغة وفروعها ،

وإذا كان من النوع الأول أعلام في التبيين والبيان . فإن من النوع الثاني أعـلاماً
في العلم والعرفان .

ذكر لنا الشيخ الأكبر مصطفى عبد الرازق في محاضراته عن حياة الإمام محمد عبده نقلاً
عن أحد المستشرقين قوله : « وقد ذكر الطنطاوى الذى كان مدرساً بالأزهر حوالى
سنة ١٨٢٧ م . قبل ذهابه إلى بطرس بوج - أنه كان يدرس مقامات الحريري والمعانيات
بشرح الزوزنى . وقال (الطنطاوى) إنه لا يعلم أن أحداً قبله درس هذه الفنون فى الأزهر » .
وخفى هذا القول أن الأزهر إلى سنة ١٨٢٧ م لم تكن قد دخلت فى مناهج دراسة الأدب ،
وأن هذا الشيخ الطنطاوى هو البادى بالدراسة الأدبية فيه . ويؤيد هذا الرواية أن الأديب
الشاعر صديق الأستاذ إبراهيم الدباغ أخبرنى بأنه حوالى سنة ١٨٩٠ م كان يذهب إلى رواق
الحنفية بالأزهر مع أحد أصدقائه الدوريين ليلقى صديقه هذا درساً فى الأدب على من يشاء
من طلبته ، وكان هذا الدرس فى يومين فى الأسبوع ، فكان الطلبة يعدون ذلك « الأدب »
غريباً عليهم كل الغرابة . وكان كثير منهم - على قلتهم العددية - يحضر بعض دقائق ثم ينصرف .
ثم إن للرحوم على مبارك « باننا » المتوفى سنة ١٨٩٣ م رواية فى خطه التوفيقية هى
فى دلالتها تؤيد هاتين الروايتين . فتمد جاء فى الجزء الرابع من خطه عن مناهج الأزهر
الدراسية قوله - « وأيس لهم التفات نحو التاريخ والجغرافيا والفلسفة بل يرون ذلك بطالة
وتضييعاً للوقت . . . » .

إذن لى أن أقول بعد ذلك : إن الأدب لم يكن فى المناهج الأزهرية الدراسية ،
وإنما الذى يميل إليه هو الذى يطلب من كتبه ويديم فيها الاطلاع ، ولا يطلبه من درس
منتظم فى الأزهر ، وهذه الوسيلة الفردية أخرج لنا الأزهر أدباء كان منهم من حمل لواء
العلم والعرفان فى عاوم اللغة العربية جميعاً .

يمكن فى هذه الكلمة الختامية فى رسالة الأدب أن أجمل تقسيم هذه الرسالة إلى أطوار
عدة : بعضها مر الحديث عنه ، وبعضها الحديث عنه جديد .

الطور الأول : طور ابن دقيق العيد ، والجلال السيوطي ، وأبي العباس القلتمشندي ،
وشمس الدين النواجي ، وأمثالهم وقد مرّ التحدث عن هذا الطور .

الطور الثاني : طور الشبراوي وإسماعيل الخشاب ، وحسن العطار ، والجبرتي ، ورفاعة
الطهطاوي ، ومحمد شهاب ، ومحمود العالم وأمثالهم وقد مرّ الحديث عنه أيضاً .

الطور الثالث : هو الطور الأول لمحمد عبده قبيل الثورة العربية . ويحدثنا هذا الشيخ
العظيم عن رأيه في الكتابة العربية في هذا الحين . وكيف أصلح ما اعوج منها قال : « وكانت
أساليب الكتابة في مصر تنحصر في نوعين ، كلاهما يمجّه الذوق وتذكره لغة العرب . الأول
ما كان مستعملاً في مصاحح الحكومة وما يشبهها . وهو ضرب من ضروب التأليف بين الكلمات
رث خبيث غير مفهوم ، ولا يمكن رده إلى لغة من لغات العالم : لا في صورته ولا في مادته
والنوع الثاني ما كان يستعمله الأدباء والمتخرجون من الجامع الأزهر . وهو ما كان يراعى
فيه السجع وإن كان بارداً . وتلاحظ فيه الفواصل وأنواع الجناس وإن كان رديئاً في الذوق
غير مؤد للبعي المقصود ، ولا ينطبق على أدب اللغة العربية . . ولا يزال هذا النوع موجوداً
في أساليب المشايخ خاصة . ثم ورد علينا في أخريات الأيام ضرب آخر من التعبير كان
غريباً في بابه وهو ما جاءنا من الأقطار السورية في جريدتي الجنة والجنات بقلم المعلم بطرس
البستاني الخ . . . »

هذه الرداءة الشاملة في أساليب الكتابة العربية هي التي شمر لها الشيخ عن ساعد جده
ونشاطه فعالجها قدر المستطاع لما أن ولي تحرير جريدة الوقائع المصرية ، ورئاسة إدارة
المطبوعات التي هيمن بها على لغة الصحف وعلى لغة الدواوين في عهد الوزير الكبير رياض
باشا ، فقد كان يأمر وينهى ويعاقب ويحاسب ويحذر وينذر ، ويشتد ويحتد وما زال كذلك
إلى أن استطاع أن يحرر إلى حد ما أساليب الكتابة العربية في مختلف ميادينها : من الدواوين
إلى الصحافة إلى الأزهر ، وكان يعاونة في عمله الكتّاب أدباء وقتهم ، مثل سعد زغلول ،
وإبراهيم الهلباوي ، وإبراهيم اللقاني ، وأبي الوفا القوي ، وعبد الكريم سلمان . وهذه
أول حسنة من حسنات الأديب الكاتب الأزهرى الشيخ محمد عبده على أساليب
الكتابة العربية .

الطور الرابع : هو طور هذا الشيخ الجليل أيضا بعد أن رجع من منفاه بعد الثورة العربية وبعد أن عقد له في وطنه لواء الإمامة بأوسع معانيها . وبعد تقلد منصب الإفتاء . فقد أخذ في هذا الدور يملأ وقته بالتدريس في الرواق العباسي بالأزهر ، فطوراً يفسر كتاب الله ، وطوراً يقرأ الكتب العالية في المنطق والفلسفة ، وثالثاً يقرأ أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني ، وقد تخرج عليه في هذه الحقبة أدباء وقته وأيامهم ، وبحسبي أن يكون من بينهم مثل الأديب الشيخ محمد المهدي زيكو الذي قال بعد حضوره أول درس للإمام في أسرار البلاغة : إننا قد اكتشفنا في هذه الليلة معنى علم البيان : مع أن الشيخ محمد المهدي هذا كان يدرس أيامئذ علم البيان في المدرسة الخديوية الثانوية . والكاتب الشاعر البارع السيد مصطفى لطفي المنفلوطي . والشيخ عبد الرحمن البرقوقي صاحب مجلة البيان ، والشيخ مصطفى عبد الرزاق ، والشيخ علي عبد الرزاق ، والشيخ طه البشري ، والشيخ عبد العزيز البشري ، وأحمد تيمور باشا ، والشاعر الكاتب حفي ناصف .

يتبع هذا الطور اتجاه هذا الإمام الأديب إلى إحياء الآداب العربية . فقد أسس في سنة ١٣١٨ هـ جمعية برياسته سميت : (جمعية إحياء العلوم العربية) . وقد افتتحت عهدها بطبع كتاب جليل الشأن هو (المختصر) لابن سيدة . وقد تولى الإمام تصحيحه بنفسه بمشاركة فقيه اللغة العربية الشيخ محمد محمود الشنقيطي . ثم طبعت الجمعية غير هذا الكتاب . هذه الأطوار للإمام كانت نواه الأدب وإصلاح أساليب لغة العرب ، لا في الأزهر وحده ، ولكنها شع نورها منه فأضاء كل ظلام خيم على لغة القرآن ، ولغة عدنان ، إلى أن كان عهد الشيخ سيد المرصفي مدرس الآداب بالأزهر الذي اتصل عهده عن قرب بعهد الإمام ، والشيخ سيد هذا هو شارح ديوان الحماسة لأبي تمام ، والكامل لأبي العباس المبرد ، وأشهد أن هذا العالم الأديب في طليعة من رفعوا منار الآداب ، وخدموا أجل خدمة لغة العرب .

ولن تزال آثاره الأدبية من أقوى مراجع الأدب العربي .

حسن الشيخة

المحرر الأدبي بجريدة الشعب وعضو نقابة الصحفيين

تعليقات

كتاب مذبذبون

نقرأ لبعض الكتاب فنفهم مرة أنهم يخلصون للأمة ، ويغارون على الآداب ، وينادون بالكرامة ، فنفرح بهم ، ونود أن يكثروا بيننا عددهم .

ونقرأ لهم مرة ثانية فزاهم يخادعون ويثبون في الناس الفجور وينادون جهارا بالإباحية .

نقرأ هذا وذاك فنقف من كتابنا هؤلاء مواقف الدهشة ، ونحارفيهم : أيسخرون من أنفسهم فيترددون بين الجد والهزل ، والكرامة والخساسة ؟ أم يسخرون من الجمهور القاري فيكتبون له - يوما - ما يرضيه ، ويكتبون ثانيا ما يسوءه ، ويؤذيه ويخزيه ؟ .

كتبنا مرة أخيرة عن تبذل المرأة وتعرضها لمجامع الرجال في لبسة الشوال فعلق أحد ، الكتاب المعروفين على ما كتبنا مؤيدا لنا ، واستهجن لبسة الشوال في لهجة كريمة .

ثم رأينا ذلك الكاتب نفسه يطلع علينا بدعوة إلى التدين واحترام العقيدة ويضرب الأمثال بأمم أفادها التدين ، وأمم أخرى خسرت مغنويتها بتساعها في دينها ، وكان في حديثه ذاك يستثنى من الأديان الخرافة ، ولا يجذب الأخذ بالخرافات على أنها دين .

ثم رأينا الكاتب يتلفت من حديثه هذا إلى دعوة المرأة الجميلة أن تلبس الشوال وغيره ، وأن تبرز مفاتيح جسمها في كل ناد ، وواد .

وهنا موقف الحيرة والدهشة من أمثال هذا الكاتب ينكر الشيء ويستحسنه ، ويرى الإعراض عن الخرافات ثم ينادي المرأة أن تتبجح بالعرى والفتنة ، ونحن نحرم ما يحرم الله استنادا إلى كتاب الله وسنة رسوله ، وهما مصدران تشريع لمن كان مؤمنا . فإلى أي مصدر يستند كتابنا في إباحتهم للمرأة أن تفعل ما تفعل ؟ هذا تشريع الشيطان وهم جنوده ، فاللهم احفظ عبادك من ضلال المضللين ؟

عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء ومدير التفيتش بالأزهر

الكتب

تفسير الطبري

الجزء الرابع - ٦٣٨ ص - دار المعارف بمصر

ظهر هذا الجزء ، وفيه تفسير سورة الانتقال من الآية ٤٨ إلى الآية ٧٥ وهي آخر السورة . يتلو ذلك تفسير سورة التوبة من أولها إلى الآية ١٢٩ ، فإن تولوا فقل حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ، وهي آخر السورة كذلك وستكون بداية الجزء الخامس عشر من سورة يونس .

وفي هذا الجزء الرابع عشر من الآثار ١٣٣٤ (من رقم ١٦١٨٣ إلى رقم ١٧٥١٧) . وفيه من الفهارس : فهرس الآيات التي استدل بها في غير موضعها من التفسير . ثم فهرس اللغة مرتباً على أصل الاشتقاق وعلى آخر الأصل باباً وأوله فصلاً كاللسان والقاموس وأمثالها . ثم فهرس أعلام المترجمين في التعليق ، يلي ذلك فهرس المصطلحات ، ثم فهرس مباحث العربية والنحو وغيرهما . وبعده فهرس التفسير .

وقد سبق لنا التنويه بالجهود العظيم الذي يبذله الأستاذ محمود شاكر في تحقيق متن التفسير والتعليق عليه بما يستغنى القارىء عن مراجعة غيره ، ومن ذلك تخرج الأحاديث والآثار . مضافاً إلى ذلك جودة الطبع ، والإشارة في جوانب الصفحات إلى أرقام الصفحات في طبعة بولاق القديمة ليستفيد من ذلك من يجدون الإحالة على تلك الطبعة في الكتب التي ألفت بعدها .

الظاهرة القرآنية

ألفه بالفرنسية مالك بن نبي (ترجمة عبد الصبور شاهين) - ٣٠٣ ص - مكتبة دار العروبة مؤلف هذا الكتاب بالفرنسية من أفاضل إخواننا مفكرى الجزائر رد الله غربتها ، ومترجمه من شباب مصر الجامعيين الأوفياء للإسلام وهو الآن معيد بكلية دار العلوم . وقد كتب مقدمته الأستاذ السيد محمود محمد شاكر ، وهي من أبرع ما كتبه حتى الآن .

وعلى غلاف الكتاب تعريف بروح الظاهرة قيل فيه : « في ضوء القرآن يبدو الدين ظاهرة كونية تحكم فكر الإنسان وحضارته ، كما تحكم الجاذبية المادة وتتحكم في تطورها . والدين على هذا يبدو كأنه مطبوع في النظام الكوني ، قانوناً خاصاً بالفكر الذى يطوف

في مدارات مختلفة - من الإسلام الموحد ، إلى أحط الوثنيات البدائية - حول مركز واحد يحفظ سناه الأبصار ، وهو حافل بالأسرار ... إلى الأبد .

والكتاب يستعرض أولا الظاهرة الدينية في البشر من وجهة نظر المذهب المادى ومن وجهة نظر المذهب الغيبي ، ثم يتكلم على النبوة وخصائصها ، ثم عن أصول الإسلام ، والحياة المحمدية وكيفية الوحي ، ومقام الذات المحمدية في ظاهرة الوحي ، ثم عن الرسالة ، فالخصائص الظاهرية للوحي والصورة الأدبية للقرآن ، وختمه بدراسة للحجاز القرآني .

ويقول الأستاذ محمود شاكر في تقديم الكتاب : ليس عدلا أن أقدم كتاباً هو يقدم نفسه إلى قارئه ، وإنه لعسير أن أقدم كتاباً هو منهج مستقل ، أحسبه لم يسبقه كتاب مثله من قبل ، وهو منهج متكامل يفسره تطبيق أصوله ... وكان طريقه إلى المذهب الصحيح هو ما ضمنه كتابه من بعض دلائل إعجاز القرآن ، وأنه كتاب منزل ، أنزله الذي يعلم الخبء في السماوات والأرض ، وأن مبلغه إلى الناس رسول صادق قد بلغ عن ربه ما أمره بتبليغه ، وأن بين هذا الرسول الصادق وبين الكلام الذي بلغه حجازاً فاصلاً . وهذا الحجاز الفاصل بين القرآن وبين مبلغه حقيقة ظاهرة لا يخطئها من درس سيرة رسول الله فاحصاً متأملاً ، ثم درس كتاب الله بمقل يقظ غير غافل .

ويقول الأستاذ محمود شاكر : إن اللغة التي نزل بها القرآن معجزاً ، قادرة - بطبيعتها هي - أن تحتل هذا القدر الهائل من المفارقة بين كلامين : كلام هو الغاية في البيان فيما تطيقه القوى ، وكلام يقطع هذه القوى ببيان ظاهر المبينة له من كل الوجوه . وأن العرب الذين بعث إليهم النبي صلى الله عليه وسلم بهذا القرآن قادرون على إدراك هذا الحجاز الفاصل بين الكلامين : وهذا إدراك دال على أنهم قد أوتوا من لطف تذوق البيان ، ومن العلم بأسراره ووجوهه ، قدرا وافراً يصح معه أن يتجدهم بهذا القرآن ، وأن يطالبهم بالشهادة عند سماعه أن تاليه عليهم نبي من الله مرسل . وأن البيان كان في أنفسهم أجل من أن يخونوا الأمانة فيه أو يحجروا عن الانصاف في الحكم عليه .

وهذه الصفات تفضي بنا إلى التماس ما ينبغي أن تكون عليه صفة كلامهم - إن كان بقي من كلامهم شيء - فالنظر المجرد أيضا يوجب أن يكون ما بقي من كلامهم شاهداً على بلوغ لغتهم غاية من التمام والكمال والاستواء حتى لا تعجزها الإبانة عن شيء مما يعتلج في صدر كل مبین منهم . وأن تجتمع فيه ضروب مختلفة من البيان لا يجزى أو تكون دالة على سعة لغتهم وتمامها ، بل على سباحتها أيضا ، حتى تلين لكل بيان تطيقه ألسنة البشر على اختلاف ألسنتهم .

إن مرجليوث يوم بث الاكذوبة الكبرى بأن الشعر الجاهلي الذي بين أيدينا منحول لأصحابه وليس بأصيل ، أراد أن يفتح الجاهلين بزوال الكلام الأصيل الشاهد على إعجاز القرآن عند مقارنة البيان الإلهي بالبيان العربي .

« وهذا المكر الخفي الذي مكره مرجليوث وشيعته وكهنته ، والذي ارتكبوا له من السفسطة والغش والكذب ما ارتكبوا - كما شهد بذلك رجل من جنسه هو آربري - كان يطوى تحت أدلته ومناهجه وحججه إدراكا لمنزلة الشعر الجاهلي في شأن إعجاز القرآن ، لا إدراكا صحيحاً مستبيناً ، بل إدراكا خفياً مبهماً ، تخالطه ضغينة مستكينة للعرب وللإسلام ، .

إن خصائص البيان في القرآن فوق خصائص بيان البشر على اختلاف ألسنتهم ، وإن مخرج هذا غير مخرج هذا ، وإن الشعر الجاهلي إنما هو مادة الدراسة الأولى ، لأن القرآن نزل بلسان العرب ، والذين نزل عليهم ثم تعدهم وأعجزهم هم أصحاب هذا الشعر والمفتونون به وبيانه . وإنهم بتركهم معارضة القرآن بشعرهم وكلامهم ، قد أقرروا إقراراً لا معقب عليه بفضل هذا القرآن على شعرهم وكلامهم . وإن شعرهم وكلامهم يحمل هو نفسه في نفسه أدلة صحته وثبوته ، بما فيه من قدرة خارقة على البيان ، فهو علم فريد منصوب لا في أدب العربية وحدها ، بل في آداب الأمم قبل الإسلام وبعد الإسلام . وهذا الانفراد المطلق ولا سيما انفراده بخصائصه عن كل شعر بعده من شعر العرب أنفسهم ، هو وحده دليل على صحته وثبوته . وإذا درسناه من هذه الناحية فمن الممكن القريب يومئذ أن نلتبس في القرآن الذي أعجزهم بيانه ، خصائص هذا البيان المفارق لبيان البشر .

القصص الحق لسيد الخلق

للأستاذ الشيخ محمد خليل الخطيب النيدى - ١٤٠ ص - مطبعة الشعراوى بطنطا
لما كان مؤلف هذا الكتاب قائماً بتأليف كتابه « الخطب النبوية » وجمع مواده من كتب الحديث والتاريخ والأدب ، كان يحد في تلك المظان والمراجع القصص التي قصها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الأنبياء الماضين ، والملوك المتقدمين ، والأولياء والصالحين والأشرار الطالحين ، وفي هذه القصص عبرة للؤمنين وهدى وموعظة للفتين ، فعنى فضيلته بجمعها وشرح تراكيبها في استنباط الحكم والأحكام منها مع عزوها إلى المصادر التي جمعها منها ومن هذه القصص قصة الثلاثة الذين سد عليهم الغار ، والتائب قاتل المائة ، وقصة الملك والساحر والغلام ، وقصة جريج الراهب ، وقصص الخضر ، وقصة أمر أولاده بحجرة بعد

مجلة الأزهر

موته ، وقصة أبي زرع وأم زرع ، وقصة إبراهيم وهاجر وسارة وإسماعيل ، وقصة العابد الذي أحبط عمله بكلمة ، إلى أمثال ذلك مما بلغ خمسين قصة نبوية ، وقد جعلها المؤلف سلسلة أولى . ومع أن الأقدمين لم يتركوا باباً من أبواب السنة في أى معنى من المعاني إلا طرقوه ، وأفردوه بالتأليف فأكبر ظننا أن هذا الكتاب هو الأول في بابهِ ، فترجو الله أن ينفع به .

ابن المعتز

وتراثه في الأدب والنقد والبيان

للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي - ٧٢٠ ص - دار العهد الجديد للطباعة

يقول المؤلف في خاتمة هذا الكتاب إنه اشتمل على أربعة كتب من مؤلفاته : أولها الطبعة الأولى من كتاب « ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان » ، وثانيها كتاب « التشبيه في شعر ابن المعتز وابن الرومي » (ص ٤١٦ - ٤٥٦) ، وثالثها نص كتاب « البديع لابن المعتز » ، وشروح المؤلف عليه ، (ص ٥٩٦ - ٧١٤) ، ورابعها « رسائل ابن المعتز في الأدب والنقد والأخلاق » (ص ٤٦٥ - ٥٠٠) ، وهذا كله إلى جانب ما اشتمل عليه الكتاب من شعر لابن المعتز وتحليل لجوانب شخصيته وأدبه وشعره وتراثه الفكري والنقدي ، ومن ذلك قصيدته في تاريخ الخليفة المعتضد وأرجوزته في ذم الصبوح (١٣٥ - ٤٥٦) .

ويمتاز هذا الكتاب بالإحاطة والشمول لكل ما يتعلق بهذا الشاعر العباسي (٢٩٦ - ٢٤٧) ووصف العصر الذي عاش فيه ، والظروف التي أحاطت به ، وتوجيه الأضواء إلى المناسبات التي نظم فيها أهم تراثه الأدبي من منظوم ومنثور ، مع عزو كل شيء إلى مصادره ، فكان حظ ابن المعتز من هذه الدراسة والإحاطة فوق حظوظ سائر الشعراء الذين يلجج الأدباء والمثقفون ببدايع تراثهم وروائع آثارهم في حياتهم وأحكام الناقدين عليهم في شتى العصور ، ولا نبالغ إذا قلنا إن هذه المجموعة أنفس مؤلفات الأستاذ الخفاجي الكثيرة .

البيتوشي

للشيخ محمد الخال قاضي السليمانية - ٣٠٠ ص - مطبعة المعارف ببغداد

لما كان كاتب هذه السطور عاكفاً قبل سبع سنوات على دراسة عصر داود باشا (١١٨٨ - ١٢٤٣) وأسلافه الأقربين من ولاية بغداد ، اتحقق مختصر (مطالع السعود)

لعثمان بن سند البصري ، كان اسم البيتوشي يتردد في أحداث تلك الحقبة ، ولا سيما في استنجاده بالأمير سليمان بن شاوي الحميري لنصرة أهل البصرة عند استيلاء متوحشة الأعجم عليها ، وكنت أتمنى يومئذ لو أظفر بمرجع أتعرف منه إلى أدب هذا الأديب الكبير والشاعر البليغ الذي يعد حلقة من السلسلة الذهبية في أعلام الأكراد الذين كان لهم نصيب طيب في حمل أعباء الإسلام في جهاده وعلومه وآدابه ومفاخره ، وعلى رأس هذه السلسلة اسم السلطان الملك الناصر صلاح الدين وذويه ، وفي أواسطها أضراب الحافظ العراقي ، حتى تبلغ إلى البيتوشي وتنتهي بأحمد تيمور باشا ومحمد كرد علي وأمثال هؤلاء الأعلام . لذلك كان سروري عظيما عندما اطعنت على كتاب فضيلة قاضي السليمانية في شمال العراق عن حياة الشيخ عبد الله ابن حمد البيتوشي وبيئته الأولى ، وعن علمه وثقافته وتحليل أدبه ، واستقصاء مؤلفاته وآثاره ، فكان إحياء لهذا العبقري الكادح الصابر المنقطع للأدب ، والعلم في القرن الثاني عشر الهجري .

إن حياة البيتوشي مثال للحياة الطيبة في الجامعة الإسلامية ، وكيف أن الإسلام قد جمع قلوب أهله على محبة العربية والعرب ، كما فتح قلوب العرب لمحبة إخوانهم في الإسلام جميعاً ، ولعل ذلك مما حمل رجلا عظيما آخر من عظماء الكرد وهو الحافظ العراقي على تأليف رسالته الثميرة في فضل العرب وأكمل تمييزها في المدينة المنورة في رجب سنة ١٢٩١ هـ . ومن هذه المحبة المتبادلة قيام يوسف ضياء الدين باشا الخالدي (١٢٥٥ - ١٣٢٤ هـ) من أعلام أعيان العرب في بيت المقدس على تعلم اللغة الكردية بكتابته (الهدية الحميدية في اللغة الكردية) وفيه زيادة على نحوها وقواعدها معجم وجيز لألفاظها مترجمة بالعربية ، وهو مطبوع في القسطنطينية قبل ٦٨ سنة في ٣٢ صفحة كبيرة . وقد اقتدى في علمه هذا بأبي حيان الأندلسي (٦٥٤ - ٧٤٥ هـ) الذي كان أول واضع لنحو اللغة التركية بكتابته (الإدراك للسان الأتراك) المطبوع بالقسطنطينية أيضاً . إن هذا وأمثاله من شواهد الروابط العلمية بين المسلمين على اختلاف أصولهم وأجناسهم ، وكان الاستعمار حريصاً في عثرات السنين الماضية على توهين هذه الأواصر . ولعل اليقظة الأخيرة لدسائس الاستعمار ترد على المسلمين سنة سلفهم في توثيق الروابط الإسلامية كما كان يعمل لها الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي والحافظ العراقي والشيخ عبد الله البيتوشي وأحمد تيمور باشا وأضرابهم من علماء المسلمين . رحمهم الله وأعلى مقامهم في دار الخلود .

سلسلة الثقافة الإسلامية

يصدرها المكتب الفنى للنشر ، وقد اطلعنا منها على ثلاث حلقات :

الأولى (الوحدة الإسلامية) للأستاذ محمد أبو زهرة ، ويقول المؤلف : إن الوحدة التي نبتغيها لا تمس سلطان ذي سلطان يقوم بالحق والعدل في المسلمين . ولا شكل الحكم في الأقاليم الإسلامية ، فلكل إقليم أسلوب حكمه مادام يؤدي إلى إقامة الحق والعدل فيه ، ويحقق المبادئ الإسلامية السامية . وإنما معنى الوحدة الإسلامية أن نعتبر أنفسنا مرتبطين بروابط وثيقة تمتد جذورها في أعماق أنفسنا ، فالإسلام دين الوحدة الجامعة الشاملة ، كما هو دين التوحيد الخالص . وعنوان الحلقة الثانية (الديمقراطية الإسلامية) وهي بقلم الدكتور عثمان خليل أستاذ القانون العام بكلية الحقوق بجامعة القاهرة . وهو يقول : إن التراث الإسلامي في شأن الحكم حلقة أصيلة في صميم سلسلة التطور التي مرت بها الفكرة الديمقراطية المجردة خلال القرون المتعاقبة ، والتجارب المتعددة لا تقاس إحداها بالأخرى ، وإنما تنسب جميعها إلى ذات الفكرة التي تجمع بينها ، والمدلول اللفظي للديمقراطية هو أنها « حكومة الشعب » إلا أن الأفكار قد تشعبت في فهم معنى حكومة الشعب ، وإن تجاوزنا عن الفوارق الجزئية وأخذنا في الاعتبار الخطوط الرئيسية الكبرى وحدها . أمكننا رد هذه الشعب إلى اتجاهين رئيسيين : الديمقراطية السياسية ، والديمقراطية الاجتماعية . . . والديمقراطية الإسلامية تراث جليل في هذين المجالين ، وقد كانت - ولا ريب - أرحب ما يتصور للإنسان ، إذ امتد منذ أمد بعيد إلى شتى صور الديمقراطية التي عرفها الإنسان إلى اليوم .

والحلقة الثالثة من هذه السلسلة بقلم الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر وعنوانها (الإسلام والوجود الدولي للمسلمين) . ويقول المؤلف : « لقد كان للمسلمين باعتبارهم جماعة ، أحداث هي عناصر قوية في بناء الوجود الدولي لهم ، وكان شأنهم في تذكرها شأن كل مجتمع بشري يتحسس مواضع الضعف في سيره فيتميزها ، وعوامل القوة فيتميزها . كانت الهجرة مبدأ الوجود الدولي للمسلمين الذين لم يكونوا قبلها إلا أفراداً مضطهدين مبعثرين صار لهم بها وحدة ، لها شعارها الخاص . ونظامها الخاص ، وهدفها الخاص ، إن المبادئ متى تركزت وآمنت بها القلوب وامتلات بها النفوس كانت لدى أصحابها أعز من نفوسهم وأموالهم ومن كل ما يملكون . إن صاحب العقيدة العالمية ، والمبادئ الإنسانية العامة لا يتوقف بجهوده في سبيل عقيدته أو مبدئه في أماكن محدودة ، وإنما يسمو بعقيدته ومبدئه عن التقييد بالجنسيات والأقاليم ، والعالم كله ميدان لعمله ، فإذا ما نبأ به مكان تحول إلى غيره حيث يجد التربة الخصبة للإنبات والإثمار . »

وسلسلة الثقافة الإسلامية اعترفت الصدور مرة في كل شهر - إلا في شهرى الصيف - فيكون منها عشر رسائل في السنة . نرجو الله أن يجعلها سديدة الخطأ نافعة للناس .

الأدب والعلوم

تاريخ الأمة العربية

في جامعاتنا

قرر وزير التربية والتعليم المركزي في الجمهورية العربية المتحدة إنشاء كرسى في كل جامعة من جامعاتنا لتاريخ الأمة العربية .

كانوا في جامعاتنا ينظرون إلى تاريخ الأمة العربية ، وإلى التاريخ الإسلامى ، كما ينظرون إلى تاريخ اليابان ، أو تاريخ الأرجنتين ، فيعتبرون أنفسهم غرباء عنه ، وتصيرون أحكامهم على أحداثه منظوراً إليها بعيون أعدائه في بلاد الاستعمار المعاصرة ، أو في البعثات الشعوبية في مئات السنين الماضية .

وفي اعتقادنا أن إنشاء كرسى في جامعات الجمهورية العربية المتحدة لتاريخ الأمة العربية يقصد منه قبل كل شيء تمحيصه وتنقيته مما دس فيه لتشويه أجداده . ثم العناية بتكوين إيمان على نفوس رجال الغد بأن ماضيهم العربى والإسلامى هو الأساس الذى يقوم عليه مستقبل قوميتهم . فيجب أن يكون هذا الأساس متيناً سالمًا ،

الاستعمار الثقافى والفكرى

أعلنت حكومة السودان أنها قررت القضاء على الاستعمار الفكرى البريطانى في السودان وتحرير الثقافة السودانية منه . قال اللواء محمد طلعت فريد وزير الاستعلامات السودانى والمتحدث الرسمى باسم حكومة السودان : إننا مصممون على تحرير ثقافتنا ولغتنا من الاستعمار الانجليزى . لقد جعلت بريطانيا من نفسها - خلال الاستعمار - أكبر عميل لنا ، وطبعت ثقافتنا بطابع بريطانى بغض ، حتى أصبح الشباب السودانى يتكلم بالانجليزية بدلاً من العربية ، ويعبر عما يريد بالانجليزية عند ما يعجز أو يتعثر فى التعبير عنه باللغة العربية ونحن مصممون على تحرير السودان من هذه الرابطة الواهنة ووضع حد لها .

تعبئة العلم لخدمة الوطن

اجتمع فى يوم ٨ نوفمبر مائة وخمسون عالماً من أبناء الجمهورية العربية المتحدة المتخصصين فى فروع العلم ، لوضعوا تقارير فنية وافية للشروعات العمرانية الضخمة . عقد الاجتماع

« قسطل ، و « البلانة ، و « المحرقه ، و « عمدا ،
وسيتضاعف هذا المبلغ في ميزانية الأعوام
القادمة لتتمكن من كسب الوقت وإنقاذ الآثار
المصرية من الغرق قبل مشروع السد العالي .
وقد سافرت بعثة مشتركة من جامعتي القاهرة
والإسكندرية إلى النوبة على الباخرة « سرو ،
للاتصال بها والإقامة إلى جانب البعثات
الأجنبية التي ستساعد في هذا العمل ، وأوها
بعثة جامعة ميلانو التي اختارت منطقة « المحرقه ،
فلما أغرقها الفيضان تحولت إلى التنقيب
في منطقة « أخمدى ، وقدمت تقريراً
عن حفرياتها وعادت إلى بلادها .

وهناك بعثة ألمانية ستقوم بالحفر في منطقة
« عمدا ، برئاسة الأستاذ شتوك مدير المعهد
الألماني بالقاهرة . والبعثة البولندية ستقوم
بالعمل برئاسة الأستاذ ميخالوفسكى الذى قام
برحلة استطلاعية . وتدور الحفائر الآن
في منطقة « قسطل » لإنقاذ آثارها المهمة
إذ تحتوى على ٦١ كوما أثرياً تم حفر ١٨ منها
كما حفرت البعثة أكثر من ١٢٠ مقبرة صغيرة
ترجع تواريخها إلى العصر العتيق والدولة الحديثة
والعصر المروى . وينتظر أن تنتهى البعثة
في منطقة قسطل هذا العام للانتقال إلى منطقة
البلانة . وتقوم البواخر بنقل الآثار المستخرجة
حتى الحدود ثم تتولى قطارات السكة الحديد
نقلها إلى القاهرة .

في مبنى المركز القومى للبحوث فى الدقى برئاسة
السيد كمال الدين حسين رئيس المجلس الأعلى
للعلوم ، وحضر الاجتماع وزير التكوين المركزى
ووزير الزراعة التنفيذى . وخطب فيهم رئيس
المجلس خطبة قال فيها : إن سلسلة الانتصارات
التي أحرزها الوطن فى الميادين السياسية
والاجتماعية والحربية تلقى على كواهلهم عبثاً
آخر هو حماية هذه الانتصارات ودعمها وجعلها
أساساً لانتصارات مستقبلية يأملها الوطن
العربى كله . ثم بين لهم المهمة التي ستوكل إليهم ،
وفروع العلوم التي يحتاج إليها فى تنفيذ
المشروعات العمرانية .

وقد تكونت لجان للعلوم الجيولوجية
والتعدين والعلوم والصناعات الكيماوية
والهندسية والزراعية والبيولوجية الخ ،
وبدأت اللجان عملها عقب الاجتماع مباشرة .
وقد وعدهم الرئيس بأن تكون كل الموارد
العلمية فى البلاد تحت تصرفهم ، ومن ذلك
الإحصائيات والمراجع والبيانات . ولن تقصر
الدولة فى إرسال الإخصائيين منهم للمؤتمرات
العلمية . بشرط أن يكون هناك تخطيط لبرنامج
عالى يفيد البلاد من تلك المؤتمرات .

إنقاذ آثار النوبة من الغرق

قال الأستاذ محرم كمال وكيل مصلحة الآثار :
إن المصلحة خصصت فى ميزانية هذا العام
١٠ آلاف جنيه لإجراء الحفائر فى منطقة

إنشاء العالم الإسلامي

ميثاق الضمان العربي

بحث الأمانة العامة لجامعة الدول العربية
مع الممثلين العسكريين للجيش العربي
التعديلات المزمع إدخالها على (ميثاق الضمان
العربي) ، وتجرى اتصالات مهمة مع دول
الجامعة الأعضاء لهذا الغرض .

أرقام

قال جمال عبد الناصر في خطبته في المنيا :
كنا نستخدم في مصر ٤ في المائة فقط من
أرض هذا الوطن ، واليوم قد صممنا على أن
نستخدم هنا في مصر مائة في المائة من أرض
الوطن .

لقد بدأنا في مشروع السنوات الخمس
وهو يتكلف ٢٠٠ مليون جنيه .

لقد كان رأس المال في الاستثمار الصناعي
عام ١٩٥٢ مليوني جنيه . وفي سنة ١٩٥٧
أصبح ٤٤ مليوناً ، أى تضاعف ٢٢ مرة .
جميع أسواقنا تحفل بالمنتجات التي صنعت
محلياً ، لا يوجد في أسواق القاهرة وسائر

الأقاليم منسوجات أجنبية ، كل البضائع
مصنوعة في بلادنا . وهذا نصر حلو .

قام الاستعمار بضغط اقتصادي علينا .
كان عندنا ٦٠ مليون جنيه ذهب احتياطي
لم نصرف منه جنيهاً واحداً ، وانتصرنا في
المعركة ، واستثمرنا في العام الماضي ٤٤ مليون
جنيه في الصناعة ، و ٥٥ مليوناً في البناء ،
و ٣ ملايين في التجارة .

بدأنا معركة سنة ١٩٥٦ وعندنا ٤ ملايين
جنيه من النقد الأجنبي . وكنا نشترى من
الخارج بـ ١٨٠ مليون جنيه ، ورغم هذا
سرنا ، وبنينا . وأنتجنا ، ووفرننا مالا ،
هذه هي لذة الكفاح ولذة الانتصار .

الانقلاب في السودان

قام الفريق إبراهيم عبود - القائد العام
للجيش السوداني - بانقلاب عسكري فجر يوم
الاثنين ٦ جمادى الأولى (١٧ نوفمبر) .
استولى على الحكم ، وألف مجلساً أعلى للقيادة
العسكرية مؤلفاً من ١٣ ضابطاً برياسته تولى
السلطة في البلاد . أعلن تعطيل الدستور

وزارة ثورة مؤلفة من ١٢ وزيراً ٧ من ضباط المجلس الأعلى للقوات المسلحة وه من المدنيين . وأصدر ثلاثة أوامر دستورية : (١) أن السودان جمهورية ديمقراطية ، السيادة فيها للشعب . (٢) أن المجلس الأعلى للقوات المسلحة هو السلطة الدستورية العليا في السودان . (٣) أن المجلس الأعلى يعطى رئيسه جميع السلطات التشريعية والقضائية والتنفيذية وقيادة القوات المسلحة .

وكان الفريق إبراهيم عبود قد حدد - في اليوم الأول للثورة - إقامة وزراء حكومة عبد الله خليل السابقة والزعماء السياسيين ، ومنع الصحف كلها من الصدور . وفي اليوم التالي أمر بالإفراج عن الوزراء والزعماء ، وأباح صدور الصحف ، واستأنفت وكالات الأنباء برقياتها من الخرطوم .

ومما يذكر أن الفريق إبراهيم عبود ورجال النظام الجديد في السودان أقسموا بيمين الإخلاص للأمة وللوطن أمام مفتي السودان .

وعقب قيام النظام الجديد في السودان بعث الرئيس جمال عبد الناصر برسالة شفوية إلى الفريق إبراهيم عبود ، فقام سفير الجمهورية العربية المتحدة في الخرطوم بإبلاغها إلى الفريق إبراهيم عبود ، وفيها إعلان أن الجمهورية العربية المتحدة على استعداد لتنمية العلاقات وتوثيق

المؤقت ، وحل الأحزاب السياسية والبرلمان ، أعفى جميع الوزراء من مناصبهم .

أذاع قائد الانقلاب بياناً قال فيه : إن الفوضى والفساد انتشرا في أجهزة الدولة نتيجة الأزمات السياسية القائمة بين الأحزاب وجريها وراء الحكم إلى أن تدهورت حالة السودان فكاد يتردى إلى هاوية سحيقة .

وقال في ختام بيانه : إننا سنعمل جاهدين لتحسين العلاقات مع شقيقتنا الجمهورية العربية المتحدة ، وحل المسائل المعلقة ، وإزالة الجفوة المفتعلة التي كانت تسود البلدين الشقيقين .

والفريق إبراهيم عبود ولد في سنكات يوم الجمعة ٢ رجب ١٣١٨ (٢٦ أكتوبر ١٩٠٠) وتخرج في ٢٠ رمضان ١٣٣٦ (أول يولية ١٩١٨) وعين ضابطاً مهندساً برتبة ملازم . واشترك في الحرب العالمية الثانية في شمال إفريقية وأرتيريا والحبشة . وعين نائباً للقائد العام في الجيش السوداني عام ١٣٧٤ (١٩٥٥) برتبة لواء ، وتولى قيادة الجيش في شوال سنة ١٣٧٥ (مايو ١٩٥٦) ، ورقى إلى رتبة الفريق في ٢٨ جمادى الأولى ١٣٧٦ (أول يناير ١٩٥٧) ، وقام بجولة في دول أوروبا بعد إعلان استقلال السودان .

وعقب هذا الانقلاب قام القائد بتشكيل

الخرطوم - بأمانة الجمهورية العربية المتحدة وقال : إن الجامعة تعتمد عليهم في وثباتها .
استقبل الجمهور اسم الجمهورية العربية بالتصفيق الحار : نال السيد إبراهيم عبدالله عن الخريجين جائزة الجمهورية العربية المتحدة في الزراعة عن هذا العام ، وقد ندب الدكتور سعد الدين فوزي نائب مدير جامعة الخرطوم للسفر إلى القاهرة لاختيار ١٧ أستاذا مصرى يعملون في جامعة السودان .

الروابط بين البلدين حكومة وشعبا . وقد أجاب الفريق إبراهيم عبود على ذلك بشكر الرئيس جمال عبد الناصر على رسالته الرقيقة ، وشكره للجمهورية العربية المتحدة في شخص سيادته لأنها أول دولة اعترفت بالنظام الجديد للجمهورية السودانية .

ومما قرر المجلس الأعلى للقوات المسلحة السودانية إلغاء ألقاب الباشوية والبيكوية وأفندى من الجيش السودانى .

العراق يعمل

قرر مجلس الوزراء العراقى اعتبار المعاملات الاقتصادية بين العراق وفرنسا فى حكم المقطوعة ، وأصدر أمراً إلى جميع الدوائر والمؤسسات بالامتناع عن إقامة أية علاقات اقتصادية مع المؤسسات أو الشركات الفرنسية وعن استيراد أية مادة من فرنسا أو الاتفاق على استيرادها أو الارتباط بذلك .

وقرر كذلك تغيير اسم شارع غوردون باسم (شارع الجامعة) وشارع ككتشنر باسم (شارع النيل) كما قرر إزالة تمثال غوردون وككتشنر ، وترك للانجليز الخيار بين أن يتسلوا التمثالين وينقلوهما إلى بلادهم ، أو أن تحفظهما حكومة السودان فى أحد متاحفها . والظاهر أن الانجليز يرغبون فى تسليمها وشحنها إلى إنجلترا .

جامعة الخرطوم

تتفصل عن جامعة لندن

وطلبت الحكومة العراقية من الحكومة البريطانية إغلاق قنصلياتها فى جميع أنحاء العراق عدا بغداد والبصرة ، وقال راديو لندن : إن العراق تقدمت بمذكرات إلى بريطانيا وأمريكا وتركيا لإغلاق قنصلياتها فى كركوك والموصل .

أعلنت جامعة الخرطوم استقلالها عن جامعة لندن . تنصيب الفريق إبراهيم عبود رئيساً فخرياً للجامعة . أشاد الأستاذ سيد ناصر الحاج على - أول رئيس سودانى لجامعة

على الجمهوريه العربيه المتحده أو أية دولة عربية أخرى . وإن الوحدة بين أبناء العراق من عرب وأكراد هي خير ضمان للنصر .

مياه العراق الإقليمية

تعزم جمهورية العراق إنشاء ميناء جديد على الخليج العربي جنوبي البصرة يتكلف ١٥ مليون جنيه ، لتواجه به الزيادة في إنتاج البترول وتصديره من ٣٥ مليون طن إلى ٥٧ مليوناً بعد ثلاث سنين . وعملاً بالعرف الدولي الذي أخذت به دول كثيرة أعلنت العراق أن مياهها الإقليمية تمتد ١٢ ميلاً أي نحو ٢٠ كيلو متراً . ولكن إيران - كعادتها في الشغب والثروة فيما يتعلق بشئون الخليج العربي - أخذت تعارض العراق وتحاول الوقوف في طريق إنشاء الميناء الجديد ، وتناقش في حق العراق في مياهه الإقليمية ومدىها إلى ١٢ ميلاً .

وكانت الأمم المتحدة قد قامت بجهود في سبيل إقرار قاعدة قانونية فيما يتعلق بالمياه الإقليمية ، فأشارت لجنة القانون الدولي التابعة لها في يولية سنة ١٩٥٥ إلى عدم وجود قاعدة ثابتة في هذا الموضوع إلا أن القانون الدولي لا يرى أن تزيد المياه الإقليمية عن اثني عشر ميلاً بحرياً ، وهذا ماقررتة العراق وتراه

وأعلن وزير الاقتصاد العراقي انتهاء امتياز شركة نفط خاتمين ابتداء من يوم ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٥٨ ، وتقوم الحكومة بتسليم حقول البترول المشمولة بهذا الامتياز ، وكان سيستد إلى سنة ١٩٩٦ لو لم تنه الحكومة العراقية . ورأس مال هذه الشركة بريطاني ، وأصحابها من كبار المالكين البريطانيين .

إنذار إلى إسرائيل

من العراق

وجه العراق إلى إسرائيل إنذاراً جاء فيه : إن إسرائيل إنما تحكم على نفسها بالموت ، وتحفر قبرها بأيديها ، إن هي هاجمت أية دولة عربية .

وقد جاء هذا الإنذار في إذاعة لراديو بغداد الحكومي ، وتضمن اتهاماً للاستعماريين بقيادة الولايات المتحدة بأنهم يسلحون إسرائيل متذرعين بزعم كاذب هو المحافظة على ميزان القوى بين العرب وإسرائيل . وأضاف قائلاً : إن الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العراقية الشقيقتين تتفان الآن على أهبة الاستعداد ، والعراق مستعد تماماً ، وهو يدرك تمام الإدراك أن سلامة الجمهورية العربية المتحدة تعني سلامة العراق نفسه ، والعراقيون يقفون صفاً واحداً ضد أي عدوان إسرائيلي

وقد استقبلت وزارة الخارجية الأمريكية بالاستياء الشديد خطاب الملك محمد الخامس ، وقال مسئول في الوزارة : إن الحد الأدنى للسدة التي يمكن أن تجلو خلالها القوات الأمريكية عن القواعد الجوية في المغرب هو خمس سنوات .

وعادت حكومة المغرب فذكرت في أواخر نوفمبر المطالبة - بلسان سفيرها في واشنطن - بضرورة جلاء القوات الأجنبية عن أراضي المغرب ، وإغلاق القواعد الأمريكية فيها بدون أية شروط ، وقال السفير المغربي في برنامج تليفزيوني محلي : إن وجود القوات الأجنبية في المغرب ، فرنسية كانت أو إسبانية أو أمريكية ، يتنافى مع معنى الاستقلال .

سياسة بريطانية

في الشرق الأوسط

نشرت صحيفة (سبكتاتور) الانجليزية يوم ٦ نوفمبر مقالا بقلم روى جنكينز النائب في مجلس العموم البريطاني قال فيه : إن سياسة إقامة الحكومات الموالية للغرب في الشرق الأوسط ، ومحاولة إقامة كتلة من الدول العربية ضد كتلة أخرى ، كانت حتى يوليو الماضي - أي إلى قيام ثورة العراق - توصف بالقصور . أما بعد ذلك فلا بد أن توصف بالخلط والجنون .

من حتمها وبه حماية مصالحها العمرانية ، ومعارضة ذلك تنافي تقدم العمران وتمتع الأمم بحقوقها الحيوية .

الخليج العربي

قررت حكومة الجمهورية العراقية حجز جميع الرسائل البريدية الصادرة من العراق والواردة إليه إذا كانت معنونة بكلمة (الخليج الفارسي) بدلا من (الخليج العربي) ، وذلك تمهيدا لإعدام تلك الرسائل فيما بعد .

وقد انعقد الاجتماع في جميع أنحاء الوطن العربي الأكبر على تصحيح هذا الخطأ الجغرافي الذي روج له الاستعمار في المائة السنة الماضية وسيوضع حد له بعد الآن فيزول استعماله إلى الأبد .

القوات الأجنبية بالمغرب

لمناسبة الاحتفال بعيد الجلوس الحادي والثلاثين لملك المغرب ألقى الملك كلمة طالب فيها بسحب جميع القوات الأجنبية من بلاده وقال : إن جلاء هذه القوات هو الهدف الرئيسي لسياسة المغرب ، وأن ماتم من انسحاب بعضها لا يعتبر كافيا . كما طالب بإعادة المناطق المنتزعة من المغرب ، وأكد تمسك بلاده بارتباطاتها مع الجامعة العربية .

الفهرس

صفحة	الموضوع	بفـ
٤٠١	من إلهامات السند العالي : المروبة تسلمح جراح النيل	الأستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير
٤٠٩	نفحات القرآن : — ٦٥ — المفايلة الأدبية في توجيهات القرآن لمن كان ذا سمع وفطنة .	» عبد اللطيف السبكي عضو جماعة كبار العلماء ومدير التفنيش بالأزهر
٤١٣	السنة : عمل للمرء لنفسه	» طه محمد الساكت
٤١٧	الدورث في الإسلام : ميراث المرأة	» عبد الرحمن عيسى مدير المجلة
٤٢٦	نقد كتاب « أضواء على السنة المحمدية » —	» محمد محمد أبوشهبة الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين
٤٣٢	برامج ومناهج — ٢ —	الدكتور محمد محمد حسين أستاذ الأدب العربي الحديث بجامعة الإسكندرية
٤٤٣	ذكرى ثورة الجزائر	الأستاذ حنين محمد مخلوف مفتي الديار المصرية سابقا وعضو جماعة كبار العلماء .
٤٤٧	الفائد الأسود	» أحمد الشرباصي المدرس بالأزهر
٤٥٣	حقائق ينبغي أن تعرف	» أبو الوفا المرافي
٤٥٧	أسرار التكرير في القرآن	» عبد الوهاب حمودة
٤٦١	الزاهد الثقات (عاصم بن قيس)	» محمود النواوي
٤٦٧	الدين في موقف الدفاع	» فتحي مهن
٤٧٤	الفرقان المنزل وأثره في الأدب العربي	» عباس طه المحامي
٤٧٥	رسالة الأزهر — ٥ —	» حسن الشيخة المحرر الأدبي بجريدة الشعب وعضو نقابة الصحفيين
٤٨٢	تعليمات	» عبد اللطيف السبكي عضو جماعة كبار العلماء ومدير التفنيش بالأزهر
٤٨٣	الكتب	المجلة
٤٨٩	الأدب والمعلوم	»
٤٩١	المسلم الاسلامي	»

تفسير الألوسي

سئلت لجنة الفتوى بالأزهر عن حكم اقتناء كتاب روح المعاني للعلامة الألوسي في التفسير :
فأجابت بفتواها المسجلة تحت رقم ٣١٠٣ :
« بأن تفسير العلامة الألوسي من التفاسير المعتمدة التي لا يصح أن يقوم بين الناس جدل
حول اقتنائها وقراءتها والاستفادة منها . والله أعلم . »